بانوراما العشق والكتابة

الكتاب : بانوراما العشق والكتابة – سيرة حياة كتاب وأدباء

الكاتب : ربيع مفتاح

الطبعة : ٢٠١٥

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com   E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

مفتاح، ربيع

بانوراما العشق والكتابة –ربيع مفتاح – الجيزة : وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٥

تدمك : ٧- ١٩٩ – ٤٤٦ – ٩٧٧ –٩٧٨

١٦ ص ، ١٨ سم .

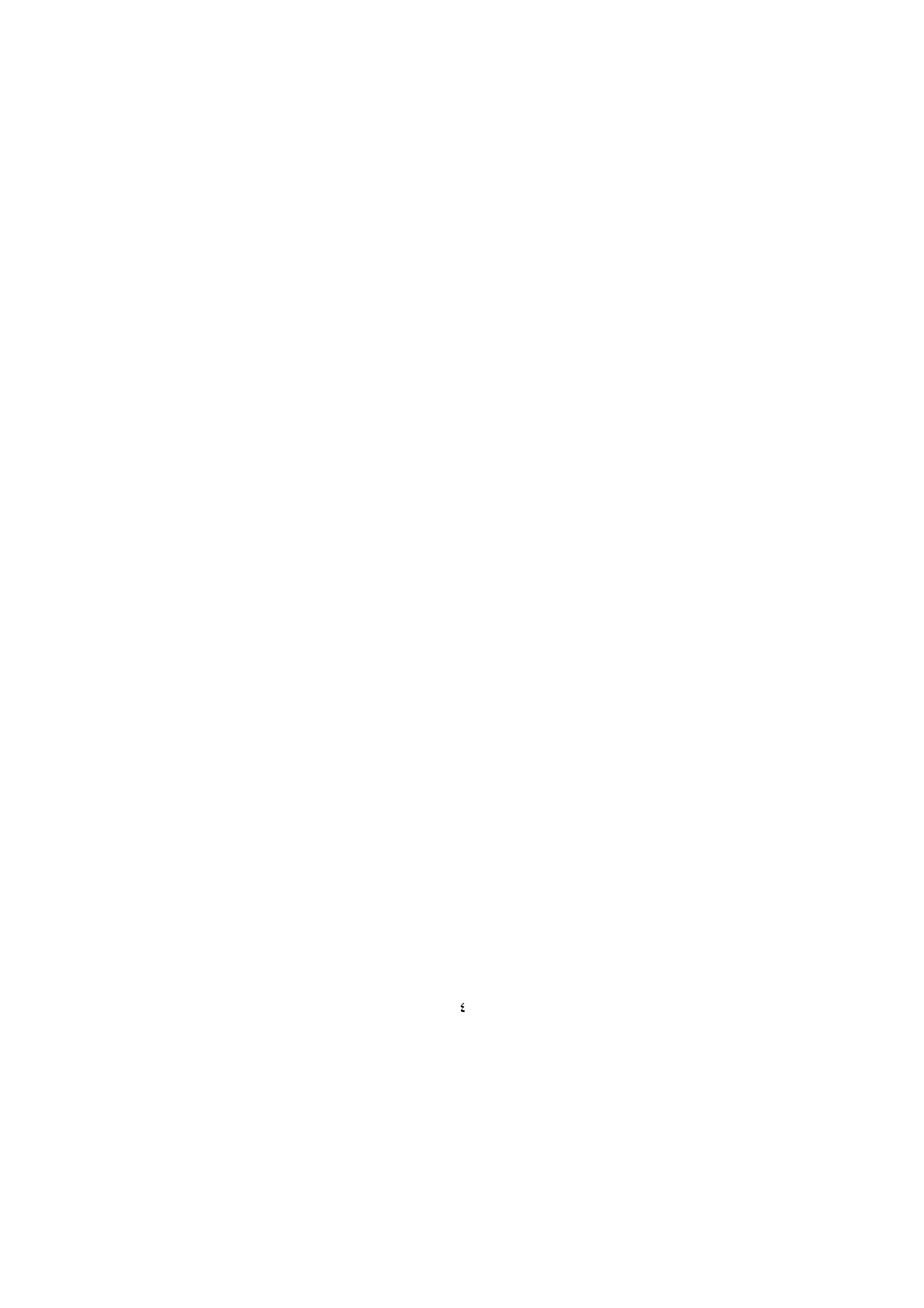
أ. العنوان **رقم الإيداع / ٨٩٦٨**

بانوراما العشق والكتابة

سيرة حياة كتاب وأدباء

ربيع مفتاح





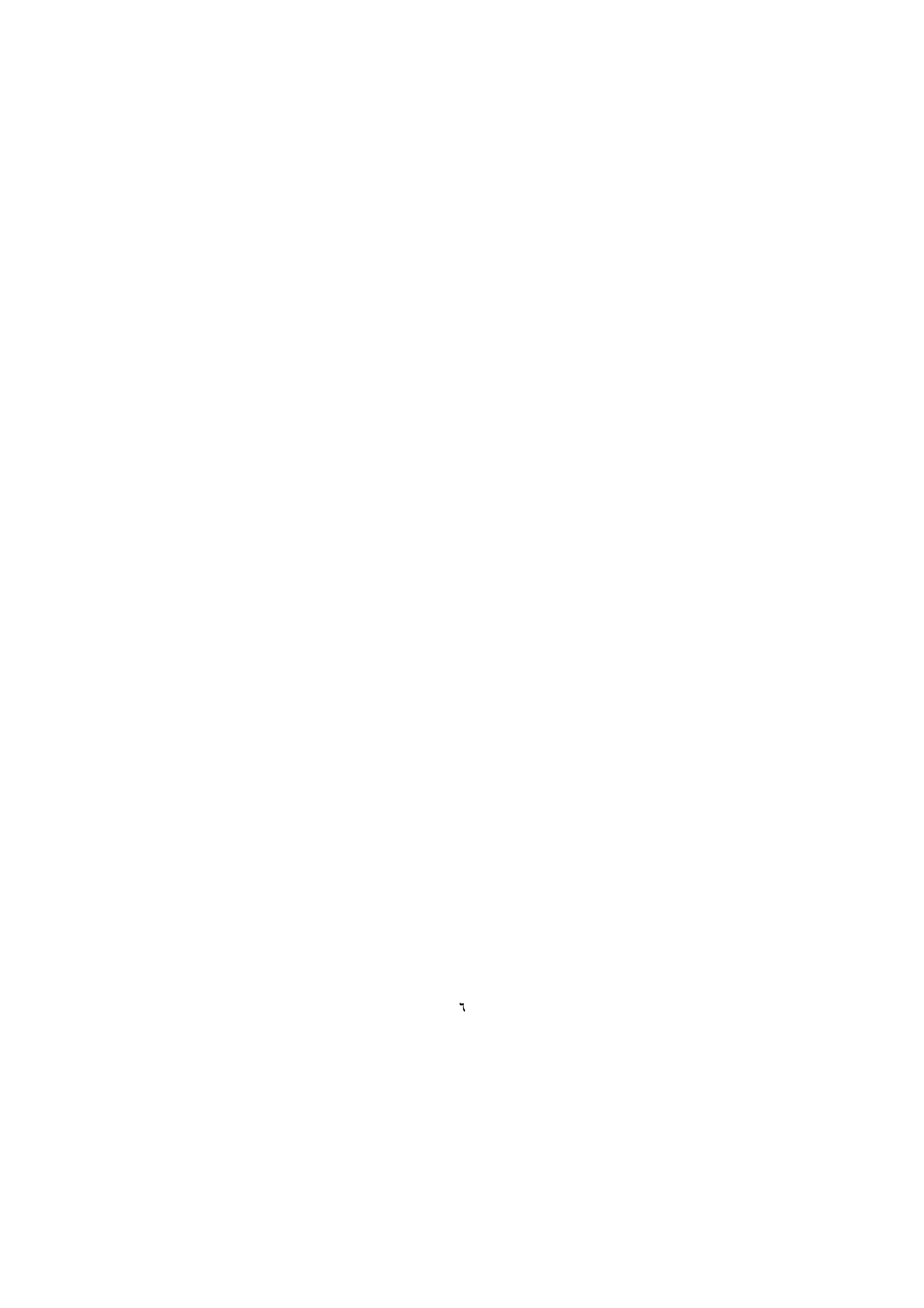
الإهداء

إلى أحفادي

آدم.. شهد.. روفان

عسى أن يأتي يوم تقرأون فيه هذا الكتب

ربيع مفتاح



مقدمة

لا أدري سر اقتناعي بأن الشخصيات هي محور الحياة، ولا أقول جديدا بأنها هي التي تغير التاريخ، فقد قال ذلك من قبل الكاتب والمفكر توماس كارليل في كتابه "الأبطال" الذي ترجمه الأديب المترجم محمد السباعي، عم الكاتب الكبير الراحل يوسف السباعي.

ربما يفسر ذلك عشقي لقراءة التراجم سواء كانت ذاتية أوغيرية تراجم بأقلام أصحابها وتراجم كتبها آخرون عن شخصيات معروفة ومشهورة.

الشخصية أيضا هي محور الفكر والأدب والفن. كثير من الأعمال الأدبية الخالأدة اعتمدت على فن بناء الشخصية ويظهر ذلك جليا في عظم مسرحيات شكسبير، هاملت، عطيل، ماكبث، هنري الثامن.

تاجر البندقية، وأيضا في مجال السينما. الأفلام التي حازت على إعجاب الجماهير والنقاد كانت عن شخصيات تاريخية معروفة مثل

كليوباترا، غاندي، عمر المختار، الناصر صلاح الدين وعلى مستوى المسلسلات.

ارتبط الناجح منها بالمعالجة الدرامية لشخصيات مشهورة، بوابة الحلواني عن شخصية الخديوي إسماعيل، وناصر ٥٦، السادات، أم كلثوم، الملك فاروق، هارون الرشيد، عمر.

كل ذلك على سبيل المثال وليس الحصر تمتزج الشخصية دائما زمان ما ومكان ما ومجموعة كبيرة من الأحداث والصراعات ومن ثم تفاعل وتنصهر مع شخصيات أخرى في الحركة والفعل والحياة، غالبا ما تحدث نقطة التحول في حياة الشخصية حين تتماثل أو تتقاطع أوتتصادم مع شخصية أخرى.

وهذا ما حدث لعميد الأدب العربي الراحل طه حسين في لقائة مع أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد فوجد فيه ضالته وبغيته، كما حدث تحول كبير في مشوار الفنان الكبير الراحل محمد عبد الوهاب حين التقى وهو ما زال صغيرا مع أمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد تأثر وأثر عملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد بعد لقائه بزعيم الأمة سعد زغلول وكتاب "بانوراما العشق والكتابة" الذي أقدمه إلى القارئ العربي هو كتاب محوره الشخصيات.

كتبت عن بعض الشخصيات التي كان لها أدوار مؤثرة في حيـــاتي منها الأستاذ شوقي، الأستاذ غديري، الأستاذ أحمد زرزور، وإذا شاء الله ســـوف أكتب عـــن شخصيات أخرى من خلال الأجزاء الأخرى من الكتاب بنفس العنوان كما كتبت عن أسماء معروفه تقابلت معها وقرأت لها وعنها: منها المبدع والمترجم د. عبد الغفار مكاوي، والكاتب القاص والروائي المتميز محمد مستجاب، والناقد د. محمود الربيعي، والكاتــب والصحفي عبد الوهاب مطاوع، كما عرضت بعض الكتب التي تناولت شخصيات مؤثرة في حياتنا منها الكاتب والشاعر العظيم طاغور وغيره.

وأيضا ترجمت بعض المــوضوعات والحـــوارات المــرتبطة بأسماء معروفه على خريطة الإبـــداع العالمي منـــها: دان بـــراون، نـــابيول، جـــورج أورويل .د.ه لـــورنس وغيرهم. وبطبيعة الحـــــال كـــــان يوسف إدريس، ونجيب محفوظ لا أستطيع أن أحول نظري عنهما، كما أتمنى أن أكتب بنفس المنهج عن شخصيات أخـــرى كثيرة، لا يتبقى لي سوى أن أتوجه بالعرفان والتقدير للصديق الكاتب والناشـــر الروائـــي خليل الجيزاوي على جهده في إخراج وإصدار هذا الكتاب.

ربيع مفتاح

الهرم في ديسمبر ٢٠١٣



القسم الأول



الأستاذ شوقي

لا أدري ما السبب في أن صورة الأستاذ شوقي كثيرا ما تطاردني.وإن كنتم لا تعرفون الأستاذ شوقي فأنا أعرفكم به. ربما في حكايته بعض الفائدة.

حين كنت تلميذا في المرحلة الابتدائية. ربما كنت في الصف الرابع الابتدائي. أتذكر ذلك وأنا أعود إلى تاريخ وفاة أبي في الرابع عشر من أغسطس ١٩٦٤.

وقتها كنت على مشارف بداية عام دراسي جديد وهو الصف الرابع الابتدائي. توفى والدي وأنا في العاشرة من عمري ولكن إحساسي بفقده جعلني أكبر من هذا العمر بكثير.

وأنا في طريقي إلى المدرسة أثناء العطلة الصيفية كي ألحق بأصدقائي الذين كانوا يتجمعون في فناء المدرسة يلعبون الكرة ويتسامرون.

قابلت الأستاذ شوقي، كان حنونا معي ربما شعر بحالة يتمي وأنا في عمر مبكر. ورغم مرضه الشديد الذي كـــان يعاني منه وهو مرض السكر فقد بذل جهدا كبيرا وهو يحاول أن يواسيني وطلب مني أن أذهب معه إلى بيته الكائن بجوار المدرسة، وحين دخلت انبهرت بالكتب الكـــثيرة الـــتي ملأت غرفته، نظرت مشدودا إليها. نبهني قائلا:

– القراءة هي علاجي مما أعانيه وأتمنى أن تحبها كما أحببتها حتى تخرج من حزنك.

اختار بعض الكتب، ربما من وجهة نظره تناســبني وأهـــداها إلي. سررت كثيرا برائحة الكتب وجمال أغلفتها، تركته وانصرفت عائـــدا إلى البيت وبدأت في تصفح الكتب وأحسست أنني قد عثرت على ضالتي.

قبل أن يموت أبي بعامين ذهبت معه إلى معلمة تجمعنا بها صلة قرابـــة كان اسمها روايح فوجدت عندها كتبا كثيرة. حاولت أن أحصل منها على أى كتاب لكنها رفضت. فبكيت كثيرا.

كنت أكبر إخوتي.. أربع بنات صغيرات متتاليات في العمر وأخـــي الأصغر الذي لم يتجاوز عمره عامين.

بدأت مرارة اليتم تقل شيئا فشيئا بفضل قراءة الكتب التي حـــصلت عليها من الأستاذ شوقي.

الأستاذ غديري

في بدايات السبعينات من القرن الفائت وحين كنت أزحف إلى الثانوية العامة ونحن في مدرسة المركز التي تبعد عن القرية مسافة سبعة كيلو مترات، جاء إلى مدرستنا مدرس رياضيات من نوع متميز.والتميز هنا يأتي بسبب ما يتمتع به هذا المدرس من صفات تختلف كثيرا عن زملائه الآخرين في مدرستنا.

شاب طويل عريض موفور الصحة حسن الملامح ذو صوت متميز قاهري المنشأ والتربية، مخلص في عمله، لا يفكر في المال بالطريقة الشرهة التي كان يفكر بها معظم المدرسين.

كان اللقاء الأول معه في مكتبة المدرسة هكذا أراد وبدأ يتحدث عن نفسه:

- اسمي غديري أمين، وأمين ليس اسم والدي لكنه اسم اشتهرت به وهذا الاسم له علاقة باسمي على أمين ومصطفي أمين.

– الآن أدركتم أنني مارست الصحافة وبسبب عشقي لها أطلق أصـــدقائي علي هذا الاسم. غديري أمين.

– سألته بسذاجتي الريفية:

– لكنك مدرس رياضيات تهتم بالأرقام والنظريات.أجابني:

– هذا ما أردت أن أوضحه لكم. لا مانع أن يكون الإنسان طبيبا وأديبـــا ومهندسا وشاعرا.

– تعرفون د. يوسف إدريس ود. مصطفى محمود ود. إبراهيم ناجي وأيضا المهندس الشاعر على محمود طه، لكن الصحافة تحتاج إلى من يتفرغ لهـــا وأتمنى أن تكون مهنتي هي هوايتي في يوم ما.

ورغم أنه لم يكن متخصصا في علوم وفنون الصحافة إلا أنه علمنا كثيرا من مفردات العمل الصحفي مثل فن الخبر وكيفية إجراء حوار وفن المقال الصحفي وأساليب التحليل وكيفية التحقيق الصحفي.

وأصدرنا مجلة باسم المدرسة، احتضنا بأدبه وعلمه وحنانه.

جعلنا نعشق الكلمات قبل الأرقام، أما أنا فقد أسرتني عبارة الطبيب الأديب وأصبحت متيما بها وقد زاد من ذلك المسلسل الإذاعي الرائع وقتئذ عن حياة وأعمال الشاعر الراحل إبراهيم ناجي يبدأ المسلسل بهذه العبارة: طبيب بين الأدباء.. أديب بين الأطباء.

و لم أكن أعرف من أشعار ناجي حينئذ إلا قصيدة الأطلال التي تغنت بها كوكب الشرق الراحلة أم كلثوم ومن ألحان العبقري الفذ الراحل رياض السنباطي:

يا فؤادي لا تسل أيــن الهــوى كان صرحا مــن خيــال فهــوى

اسقني واشرب علــى أطـــلاله وارو عــني طالمـــا الــدمع روى

وعلمت بعد ذلك أن السيدة الراحلة أم كلثوم قد غيرت يا فؤادي رحم الله الهوى إلى يا فؤادي لا تسل أين الهوى؟

استمر حلم الطبيب الأديب معي حتى التحقت بكلية الطب وكنت قد أدمنت القراءة وبدأت أحبو في عالم الكتابة، وكما يقولون دوام الحال من المحال لقد تحولت عن كلية الطب بسبب ظروفي الاجتماعية فقــد كنــت العائل الوحيد لأسرتي بعد وفاة أبي ومن ثم لابد أن ألتحــق بكليةنظريــة تسمح بأن أعمل وأدرس في آن واحد، وتكشف لي بعد ذلك أنني كنــت مسحورا بالعبارة فقط، لأنني لا أميل إلى ممارسة الطب وهكذا فقدت الجزء الأول وهو الطبيب و لم يتبق لي سوى الجزء الثاني والأخير وهو الأديب. وهذا ما أسعى إلى تحقيقة حتى هذه اللحظة.

أحمد زرزور

في عام ١٩٨٤ استلمت العمل كمدير لإحدى المـــدارس الخاصة.

كنت قد اكتسبت خبرة لا بأس بها خلال علمي في عدد من المدارس، وقد أهلني ذلك لمهمة الإدارة وأثناء إطلاعي على سجلات التلاميذ في المدرسة لاحظت اسم زرزور. وكنت قد قرأت له أشعارا في بعض المجلات الثقافية. اســـتدعيت التلميذة التي تحمل هذا الاسم وحين سألتها قالت في فخر واعتزاز:

- نعم أنا ابنة الشاعر أحمد زرزور.

طلبت منها رقم التليفون وهاتفه وقلت له إني مجرد هاو ومتـــذوق للأدب بنثره وشعره، شعرت بمدى السعادة في صوته وهو يقول لي:

- أتمنى أن تشارك معنا في ندوة الأربعاء بورشة بولاق الدكرور، سررت كثيرا بهذه الدعوة واشتقت إلى عودتي مرة أخرى لهذا المجال الذي عشقته منذ الصغر، كنت أسكن خلف المكتبة حيث تقام ندوة الأربعاء أو مسمى الورشة الأدبية وقد صك هو هذا المصطلح قبل غيره.

زرزور هو المايسترو في هذه الورشة، همزة الوصل بين جميع الأصدقاء ومركز تجمع كل الأفكار والجهود وإعادة بلورتها في سياق ثقافي يتفاعل فيه الجميع، مثل مجلة جسور التي أنجزناها بالجهود الذاتية وقد صدر عدد واحد منها عام ٨٧. وباعتباره عضوا مثقفا قادنا إلى التنوع الثقافي والالتزام بالمجتمع الذي نعيش فيه.

لم ننشر قصصا وأشعارا ومقالات فحسب، وإنما أجرينا حوارا مع المفكر الإسلامي محمد عمارة وقمنا بتحقيق عن مشاكل التعليم والتقينا برئيس قطاع بولاق الدكرور التعليمي الراحل محمد ربيع.

وتطرق الحوار إلى كل صغيرة وكبيرة في مجال التعليم في هذا الحي الذي عرفنا فيما بعد أنه عشوائي، ثم توالت الإصدارات بعد ذلك منها (مجلة مسار١ – مسار ٢ – مسار ٣).

اجتهد زرزور في صياغة مشروع يجمع بين المفكر الإسلامي المستتير والأفكار اليسارية، فقد كان اشتراكيا حتى النخاع.

اختلفنا كثيرا، ومع كل اختلاف تزيد أواصر الصداقة بيني وبينه.

تحمل زرزور الجميع واستوعبهم: حازم شحاتة وخيري عبد الجواد ومجدي إبراهيم وكوثر مصطفى الماحي ونادر ناشد وبدوي راضي ومحمد عبد الراضي ومحمد حامد.

وفي مجال الغناء أحمد فكري وعلى الهلباوي وكثيرين.

وفي الورشة لم نترك كاتبا أو أديبا إلا وأجرينا لقاء معه.

منهم الغيطاني والقعيد وإدوارد الخراط وحلمي سالم وحسن طلب ومحمد جبريل ومنتصر القفاش ونعمات البحيري وزينب العسال وغيرهم كثير.

تميز زرزور في كتابة قصيدة النثر ولكنه كان أكثر جمالا في الكتابة للطفل وقد قلت له يوما:

سوف تكون واحدا من أهم الكتاب في مجال الكتابة للأطفال.

وبعد ذلك بسنوات قلائل حصل على جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال عن ديوانه "ويضحك القمر" وانطلق في عالم الكتابة للأطفال إلى أن أصبح رئيس تحرير مجلة قطر الندى هذه المجلة التي كان له فضل كبير مع آخرين في إصدارها وتميزها ومع ذلك فقد عانى كثيرا من بعض المسئولين الكبار، حين أرادوا إزاحته عنها لم تكن "قصر الندى" بالنسبة له مجرد مجلة بل كانت معشوقته.

وأثناء هذا الصراع الدائر والذي كان فيه مقاتلا شرسا وعنيدا تناوبت عليه الأمراض من سكر وكبد وغيرها.

ويرجع الفضل إليه في توجيهي إلى مجال النقد والترجمة.

واستفدت منه كثيرا وكنت أقول أمام الجميع لقد خرجنا جميعا مـــن معطف زرزور تيمنا بالعبارة المعروفة:

"لقد خرجنا جميعا من معطف جوجول"

تضايق البعض من هذه العبارة. كثير من الناس لا يعترفـــون بفـــضل الآخرين عليهم ويغضبون لو ذكرهم أحد بذلك، لكنه كـــان يـــستوعب الجميع.

ترقى زرزور فأصبح مسئولا كبيرا في الهيئة العامة لقصور الثقافة إلا أنه لم ينقطع عنا و لم ننقطع عنه. كان يحب ونس بولاق الدكرور ولمة النـــاس والإحساس بالدفء الإنساني.

هذا الرجل الطويل النحيف رقيق القلب والمشاعر، هذا الوجه المبتسم الذي يجعلك تحبه عند أول لقاء.

وفي آخر سنوات حياته عاش وحيدا في شقة متواضعة.

لم يكن طموحه ماديا على الإطلاق، وكان ذلك سببا في مشاكل عائليـــة كثيرة. كان أهم ما يعينه أن يجد قوته المتمثل في وجبة متواضعة لا تتعدى الفول والبصل وكتابا يقرأه وورقه وقلما.

كان أقرب إلى المتصوفين رغم حبه وإقباله على الحياة. وكما عاش زرزور وحيدا، مات وحيدا و لم يكن بجواره أحد.

عبد الوهاب مطاوع وساعات من العمر

عبد الوهاب مطاوع من فرسان الكلمة الذين لمعوا في عالم الصحافة وقد استطاع أن يجعل صوت الأديب في انسجام وتوزان مع صوت الصحفي.

أما كتاب "ساعات من العمر" والذي يعزف به على وتـــر الـــسيرة الذاتية، فقد كان الصدق أبرز معالم هذه السيرة التي يحتفظ صاحبها بروح التواضع، كما أن اتصال حياته بكثير من الأحياء جعله يتغاضى عن بعض ما يسيء إليهم، ويحذف مالا تطاوعه نفسه على إثباته مؤمنا بأن الأشخاص الذين يصلوننا بأنفسهم وتجارهم هم الذين ينيرون أمامنا الماضي والمستقبل. كما استطاع صاحب السيرة أن يدرج المعاني الكلية ويـــستخرج منـــها النماذج الإنسانية ويستنبط العبرة من الأحداث التي اختارها.

وما حياة الكاتب إلا تجارب وأحداث ينفعل بها ويتفاعـــل معهـــا وتختلط في أعماقة بذكرياته السابقة. وآمالة واحباطاته القديمة.

وقد اعتمد الكاتب على عملية الاختيار، فهي ساعات من عمر الكاتب في مراحل وأماكن وأحوال مختلفة، من الطفولة إلى الصبا والمراهقة ومن المرحلة الجامعية إلى مرحلة العمل ثم الزواج، وما بعده ومن القرية إلى المدينة، وفي مصر وخارجها، ومن الصحة إلى المرض ومن الاخفاقإلى النجاح، وخلال الرحلة نتعرف على أصدقاء الكاتب وهم كثير من الكتاب والأدباء والموسيقين والناس العاديين، فهو يجد في هذه الصداقة المتعة الروحية والثقافة ويؤكد ذلك حين يقول"ماذا يساوي الثراء حيث لا يجد الإنسان أصدقاء حقيقيين يرتاح إليهم ويرتاحون إليه ويأنسون به؟!"

إن فنيه هذه السيرة تبدأ من عملية الاختيار، حيث يحذف الكاتب ما يحذفة ويبقي ما يبقية، لأن الذاكرة لا تنسى فحسب بل هي تفلسف الأشياء الماضية، وتنظر إليها من زوايا جديدة، لإنها في عملية كشف مستمر فالماضي لا يمكن استرجاعه على حاله ولا مناص من تغييره بوعي أوبغير وعي، وهذا ما حدث لصاحب السيرة حين شهد في طفولته حادث غرق صديقه، فقد كان هذا الحادث البداية في تشكيل وعي الكاتب وفي ذلك يقول: كأنما قد حدد هذا الحادث المؤلم في طفولتي الكثير والكثير من سمات تكويني النفسي وطريقة تفاعليمع آلام الحياة المختلفة ومؤثراتها وأسهم أيضا في إيماني الدائم بأن الحياة قصيرة مهما طالت، وبأنه من الحكمة ألا يطمئن إليها الإنسان كل الاطمئنان مهما بدت مطمئنة ووادعة.

ليست الأحداث وحدها هي التي شكلت تكوين صاحب السيرة فـــالقراءة والإطلاع في كافة مجالات المعرفة، ولا سيما في الأدبين العــربي والعـــالمي والتواصل مع هذه الرموز الإنسانية كل ذلك بمثابة مصابيح يهتـــدي بهـــا الكاتب في رحلة الحياة كما أنه يتأسى بتلك الرموز من أمثـــال الـــشاعر الهندي العظيم "طاغور" والعبقري الروسي "تشيكوف" والكاتب المسرحي الأمريكي "أرثر ميلر" والفليسوف الإنجليزي "برتر أندرسل" ومن فرنـــسا "فكتور هوجو" البيركامي ومن الأدباء العرب العقاد والحكـــيم ونجيـــب محفوظ وصلاح عبد الصبور وغيرهم.

إذ كانت الصداقة والقراءة والموسيقى والكتابة هي مـــصادر متعـــة الكاتب الروحية والثقافية، فإن هذه المصادر تستمد وجودها من كـــتر لا مثيل له هو الصحة، يقول صاحب السيرة جاءني صوت الجراح يهنـــئني، وكنت قد غادرت الحمام لتوي متألما، واستقليت في الفراش ألتقط أنفاسي، فقال لي: مبروك دخولك مجلس إدارة الأهرام، فوجدت نفسي أجيبه — بلا وعي — بأن دخول الحمام بغير ألم أهم عندي من دخـــول مجلـــس إدارة الأهرام أو حتى مجلس الأمن.

إذا ماذا يساوي أي شيء في الحياة والإنسان يتألم ويتوجع ؟!

ورغم هذا التوجع فإن السيرة لا تخلو من روح الــسخرية والدعابــة وخاصة حين يكتب عن أساتذته في عالم الصحافة وعلــى رأس هــؤلاء الأستاذ هيكل والأستاذ أحمد بهجت.

أما الشخصيات الثانوية فقد نجح الكاتب أن يبعــث الحيــاة فــيهم ويحركهم ويسير بهم في مراحل الحياة و لم يستخف بهم.

رحم الله الأديب والصحفي والإنسان الخلوق عبد الوهاب مطاوع فقد كان فارسا من فرسان الكلمة.

عبد الغفار مكاوي.. مترجما

يقول درايدن: يبدو لي أن السبب الحقيقي في أننا لا نحصل إلا على مترجمات قليلة هو قلة الذين لهم جميع الكفايــات المتطلبة للترجمة ونقص الثناء والتشجيع على مثــل هــذه الناحية المهمة من الثقافة.

ومع ذلك فقد ظهر خلال العصور مترجمون بارعون رفعوا مقام هذا الفن ومنحوه شيئا من الإجلال والحركة يأتي اسم المبدع والمترجم والكاتب والباحث الأستاذ الدكتور عبد الغفار مكاوي، ليحتل مكانا متميزا وسط هذه الكوكبة في هذا الحقل الأدبي والثقافي المهم جدا وحيث أن المتــرجم فنان فهو إلى جانب إطلاعه اللغوي ينبغي أن يكون متحليا بــروح الفــن ومطلعا على الموضوع الذي يقوم بترجمته، وتتضمن الترجمــة إلى جانــب ترجمة الألفاظ والمعاني ترجمة أسلوب الكاتب وروحه فقد توفرت كل هذه الخصائص لدى مترجمنا القدير وسوف نقف عند بعض المحطات في حياة د.

عبد الغفاء مكاوي، لتبين تلك البذور الفكرية والإبداعية فالترجمة إبداع من إبداع أو إبداع على إبداع، لأن الإلهام فيها ضروري وبدونه تغدو ميتة لا روح فيها والفرق بين الترجمة الملهمة والاعتيادية كالفرق ما بين الشعر والنظم.

وفي عام ١٩٣٧ دخل عبد الغفار مكاوي المدرسة وبدأ وعيه يتفتح على حب اللغات والاهتمام بالفنون وفي عام ١٩٤٧ عندما قرأ "آلام فيرتر" لشاعر الألمان الأكبر "جوته" رواده إحساس غامض – كما يقول – بأن مصيره سوف يرتبط بهذا الشاعر الفليسوف لم يعلم في ذلك الحين أنه سوف يرتبط ذلك بالأدب والفكر الألمانيين.

كما أقدم على تعلم اللغة الإيطالية في معهد "داني الليجيري" بالقاهرة والحصول على منحة لمدة ثلاثة أشهر عام ١٩٥٣ للدراسة بجامعة "بيروجيا للأجانب" ثم التركيز من عام ١٩٥٤ إلى عام ١٩٥٧ على دراسة اللغة الألمانية مع الالتحاق بمدرسة الألسن كما أنه حصل في عام ١٩٥٧ على منحة لمدة عشرة شهور للدراسة في ألمانيا، وهكذا نرى أن حب اللغات ودراساتها وعشق الفنون قد تجذر وتأصل في وجدان مترجمنا القدير الذي درس الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية، لكن اللغة الألمانية تأتي في المرتبة الأولى من حيث الإتقان والإجادة والتجويد، بل استأثرت بنصيب

الأسد في مترجماته التي نقلها إلى العربية عشقة الأول والتي امتزجت بروحه منذ الصغر وأيام النشأة الأولى.

ومنذ البدايات عشق د. عبد الغفار مكاوي الشعر والمسرح وكتب الشعر وما زال يكتب المسرح وارتبط عنده المسرح بالشعر منذ البداية وأعتقد أن فن المسرحية الشعريه هو المعادل لوجدانه وفكره إبداعيا وقد نحى الإبداع جانبا لأسباب سوف نوردها بعد ذلك أما المسرح فقد ألقى فيه بنصيب لا بأس به، وهذا يفسر اتجاه د. عبد الفغار مكاوي إلى ترجمة الشعر والمسرح فقد استاثرا الاثنان بالنصيب الأكبر في مترجماته فهل كان التركيز عليهما ترجمة نوعا من التعويض الإبداعي؟ أو بمعنى آخر أفرغ طاقته الإبداعية في ترجمة الشعر والمسرح وكان هذا العشق سببا رئيسيا في تميز مترجماته، فهو لم يترجم أعمالا قد فرضت عليه أو تم تكليفه بها دون رغبة منه وإنما العكس هو الذي حدث، فقد حب واختار وترجم فتفرد وهذه أول خصيصة من خصائصه كمترجم وقد نطلق عليها "العاطفة" هذه العلاقة الخاصة جدا بينه وبين العمل المترجم، بل، ومؤلفه والتي تجعله يتعايش معه ويتشرب روحه حتى أن د. عبد الغفار مكاوي يصف هذه العملية بأنها أشبه ما تكون بتناسخ الأوراح وهنا يكمن الإبداع وتصبح الترجمة – بالفعل – إبداعا على إبداع لأن المترجم لا ينقل إلينا ألفاظا وعبارات وإنما ينشئ لنا روح العمل في لغتنا العربية.

ورغم هذا الإبداع الذي يتحقق أحيانا في عملية الترجمة فإن عملية التطابق بين النص الأصلي والترجمة صعبة التحقيق، فدائما يوجد ما يسمى بفائض الترجمة، لأنه يجوز للمترجم أن يضيف إلى المعنى الأصلي شيئا من عنـــده لتقويته. وهو ما يعرف بالمعنى المضاف إضافة تركيبيه أو يحذف معنى ثانويا لا رئيسيا إذا وجد أن ذلك يضعف من قوة النص الأصلي، وهذا الحكمـــة في الزيادة أو الحذف من خلال توخي الدقة وهي ما يميز منـــهج د. عبـــد الغفار مكاوي في الترجمة فإذا كانت بعض الألفاظ أو التراكيب تعـــود إلي أصول لاتينيه أو يونانية فإنه يقوم بعملية التحقق والتحقيق وسوف نعرض لذلك بشيء من التفصيل في تناولنا لإسهاماته في ترجمة الشعر والمـــسرح، ولن نتعرض لإسهامه في مجال ترجمة الفلسفة والفكر، ولعل ذلك يكـــون موضوعا أخر للبحث في مرة قادمة.

ترجمة الشعر :

أصعب ما يمكن ترجمته هو الشعر لأنه يحتاج إلى ملكة خاصة ويؤكد هذا المعنى د. عبد الغفار مكاوي نفسه فيقول :"أجلّ!إن ترجمة الشعر أشبه بالمخاطرة في أرض حرام في منطقة غامضة تقع على الحدود الغامضة أيضا بين الإنشاء أو الإبداع الخالص، وبين النقل الحرفي الدقيق والأمين، والسبب بسيط فهي تحاول إعادة إبداع عمل سبق إبداعه، ولكـــن إذا أخـــذنا في الاعتبار الإمكانات الخاصة جدا بمترجمنا القدير ومنها عشقه لكل من العربية

والألمانية وتمكنه فيهما، فضلا عن عشقه الخاص لترجمة الشعر والذي بدأت رحلته معه منذ البدايات وهذا ما عبر عنه د. عبد الغفار مكاوي فيقول:

"توقفت عن الشعر تماما بعد تعرفي إلى صديق العمر المرحوم صـــلاح عبد الصبور واقتناعي بعدم أصالة موهبتي فيه وإن لم يمنعهذا من مواصـــلة قراءاتي له واهتمامي الدائم بعد ذلك بترجمته ودراسته ونشر بعض مقطوعاته خلال مسرحياتي المتواضعة".

ويمكن القول إن ترجمة الشعر بوجه خاص لا يجوز أن يقترب منها إلا شاعر كبير في لغته أو على الأقل إنسان سمنته حساسية الشعر، وأعتقد أن مترجمنا القدير يمثل الحالة الثانية فهو مسكون بالشعر منذ النشأة الأولى.

بدأت رحلة د. عبد الغفار مكاوي مع ترجمة الشعر بترجمة بعـــض قصائد الشاعر والكاتب المسرحي الشهير برتولد برشت، وقد نـــشرت في مجلة المجلة عام ١٩٥٨، ثم توالى اهتمام المترجم وانشغاله ببيرشـــت بعـــد رجوعه إلى الوطن في أواخر سنة١٩٦٢، فترجم عددا كبيرا من مسرحياته وأشعاره التي ظهرت في سنة ١٩٦٧ تحت عنوان "قصائد من برشت"، وقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عام ١٩٩٩ بعنوان"هذا هـــو كـــل شيء" قصائد من برشت عن دار شرقيات بمقدمة ثانية للمتـــرجم ومعهـــا مقدمة الطبعة الأولي أيضا وإذا أردنا أن نستكشف بعضا من جماليات هذه الترجمة فقد تساعدنا قصيدة"عن الرجال العظام" في ذلك.

عن الرجال العظام ١٩٢٦

-١-

الرجال العظام يقولون أشياء كثيرة غبية.
يتصورون أن جميع الناس أغبياء.
والناس لا تقول شيئا وتتركهم يعملون.
بهذا يدور الزمن دورته.

-٢-

لكن الرجال العظام يأكلون ويشربون.
ويملأون البطون.
وبقية الناس نسمع عن أعمالهم.
ويأكلون كذلك، ويشربون.
احتاج الإسكندر الأكبر لكي يعيش.
إلى مدينة بابل العظيمة.
ولقد وجد أناس آخرون.
لم يشعروا بأنهم في حاجة إليها — أنت واحد منهم.

-٣-

كوبرينكوس العظيم لم يخلد للنوم.

كان في يده منظار مقرب.
ظل يحسب حتى عرف أن الأرض تدور حول الشمس.
فاعتقد عندئذ أنه فهم السماء "بشكل أفضل".

-٤-

برت برشت العظيم لم يفهم أبسط الأشياء.
وراح يفكر في أصعبها: كالعشب على سبيل المثال
أخذ يمتدح نابليون العظيم.
لأنه كان يأكل مثله الطعام.

-٥-

الرجال العظام يتصرفون كأنهم حكماء.
يتصرفون كأنهم حكماء.
ويتكلمون بأصوات مرتفعه – مثل الحمام.
والرجال العظام ينبغي تكريمهم.
لكن لا ينبغي تصديق "ما يصدر عنهم من كلام".

وتوالت الترجمات بعد برشت فقد قرأ المترجم بعض أغنيات سافو أول شاعرة غنائية في تاريخ الأدب العربي والتي قال عنها "أتجذبت إليها عن غير وعي متأثرا بجبي القديم لعلي محمود طه وأشعاره وأغنياته إلى شاعرة الحب

والجمال وظهرت ترجمة الشذرات الكاملة عن دار المعارف سـنه ١٩٦٦، لكن المشروع الأكبر كان كتاب"ثورة الشعر الحديث" والـذي اسـتغرق حوالي ست سنوات من العمل المضني ولم يقم د. عبد الغفـار مكـاوي بالترجمة الحرفية في هذا المشروع وقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب بعنوان:

"ثورة الشعر الحديث" من "بودلير إلى العصر الحاضر"عام ١٩٩٨ عن دار أبوللو ومن خلال مقدمة الطبعة الثانية نستطيع أن نتعرف على الدوافع والأهداف المرتبطة بهذا السفر الضخم الذي جـاوزت عـدد صـفحاته الستمائة، يقول د. عبد الغفار مكاوي في هذه المقدمة "فأما عن الاختيار، فقد التزمت بفترة زمنية محددة لا تجاوز منتصف القرن العـشرين كمـا تقيدت بمجال معين لا يتجاوز الآداب الفرنسية والأسـبانية والإيطاليـة والألمانية" والكتاب لا يفكر في تقديم لوحة شاملة أو بانوراما – تضم كل أعلامه – لأن مثل هذه المحاولة تخرج عن هدف الكتاب، ثم أنها تفوق قدرة إنسان واحد وحياته، ولذلك اكتفيت من الشعراء الثلاثة الكبـار بـودلير ورامبو ومالارمية، بالنصوص الواردة في متن الدراسة ثم أضفت إليهـا في المختارات بعض قصائد من "فيرلين" حتى تتم صورة هؤلاء الأربعة الكبارة، وحتى تكون المختارات تطبيقا للمبادئ النظرية التي يعالجها الجزء الخـاص بالدراسة.

نستنتج من ذلك أن هذا الكتاب لم يستند على الترجمة وحدها، وإنما تداخلت معها عناصر أخرى مثل الفكر النقدي والاختيار المنهجي، والقدرة على الربط بين ما هو تنظيري وما هو تطبيقي والذوق الخاص للمتـــرجم المؤلف، ويؤكد هذا المعنى د. عبد الغفار مكاوي في مقدمة الكتاب" أنـــني تذوقت الكتاب الذي اعتمدت عليه واعترفت بفضله عليوديني الكبير نحوه وأنني لم أترجمه حرفيا، وإنما التزمت بعرضه التاريخي والموضوعي وخصائصه الأساسية لإيماني بأن أهل هذا الشعر أدرى به منا وأكثر قدره على تفسيره ووضعه في سياقه الحضاري واللغوي والفكـــري والاجتمـــاعي والعلمـــي المتطور، ثم أضفت إليه من مراجع مختلفة وزدت عليه، ويكفـــي في هـــذا الصدد أن أقول إن متن الكتاب الأصلي مع استثناء المختارات الـــشعرية المحلقة به لا يصل إلي مائة صفحة أصبحت عندي سبعمائة، وأذكر أنـــني أرسلت نسخة من الطبعة العربية في أوائل السبعينات للأستاذ فريـــدريش، وشرحت له مدى تصرفي في الكتاب مع التقيد التام بالمعلومات الواردة فيه. وردّعليبما يفيد تفهمه وتقديره ثم اتجه المترجم بعد ذلك إلى شاعر الوحدة والاكتئاب والحنين سفريد ريش هلدرين فترجم معظم أشعاره وأناشـــيده الكبرى في إطار شبه روائي ضم سيرة حياته المأساوية، ثم كتاب (قـــصيدة وصورة) والذي ضم عددا كبيرا من الترجمات الشعرية، وكان موضـــوعه تأثر الشعراء عبر العصور أو تراسلهم مع الفنون التشكيلية، وصدر عن عالم

المعرفة في الكويت عام ١٩٨٧ وكتاب (حكمة بابل) الذي صدر عن نفس السلسلة وضم كل نصوص ما يعرف في علم الأشــوريات باســم أدب الحكمة البابلية وهي قصائد طويلة تغني فيها أصحابها المجهولون برثاء النفس والظلم الواقع عليهم، ويستمر مترجمنا القدير في رحلته لاستكشاف مناطق شعرية جديدة حتى يصل إلى الشاعر الإيطالي (جوسيبي أنجاريتي) والذي ولد بالأسكندرية في عام ١٨٨٨، ومات في ميلانو عام ١٩٧٠ هذا الشاعر الكبير الذي يعد رائدا للتجديد في الشعر الإيطالي في القــرن العــشرين، والذي أسس مع زميليه اتجاها شعريا عرف باسم (الهرميتيزم) أو الألغــاز وصدر الكتاب بعنوان :"يا أخواتي"قصائد مختارة من شــعر أنجــاريتي في سلسلة أفاق الترجمة عام ٢٠٠٠ ومن قصيدة بعنوان (سماء صافية) يقــول الشاعر:

بعــــــد الـــــــضباب الكثيــــــف
تتجلـــــــــــــى النجـــــــــــوم
واحــــــــدا بعــــــــد الآخــــــــر
أتــــــــــــنفس النــــــــــضارة
الــــــــتي تغــــــــدقها علــــــــيّ
الــــــــــــسماء الــــــــــصافية
أدرك مــــــــــــــن جديــــــــــــد
أنــــــــني صــــــــورة زائلــــــــة
تنــــــــــدمج في دورة أبديــــــــة

وقد اعتمد مترجمنا القدير في هذه المختارات على الترجمة الألمانيـــة التي قامت بها الشاعرة الكبيرة "انجبورج باخمان".والدراسة التي ألحقتها بها مع الحرص على قراءة الأصل الإيطالي بمساعدة القاموس والترجمة ومراعاة الدقة والأمانة والتعاطف إلى حد التقمص مع روح النص وجـــسده، وفي سلسلة آفاق عالمية أيضا صدر كتاب الزيتونة والسنديانة عام ٢٠٠١، وهو مدخل إلى حياة وشعر عادل قرشولي مع النص الكامل لديوانه"هكذا تكلم عبد الله" وفي دراسة رائعة يقدم بها د. عبد الغفار مكاوي ترجمة الكتاب.

(زيتونة وسنديانة) يقول: ربما كانت هذه الاستعارةأصدق وصـــف لحياة عادل سليمان قرشولي وانجازه الأدبي الثقافي ورسالته التي كرس لهـــا جهوده ووهبها وجوده، هذا الشاعر السوري الأصل الذي يعيش ويعمـــل ويعلم ويبدع ويشارك مشاركة فعالة في الحياة الشعرية والثقافية في مدينـــة "ليبزنج" الألمانية منذ ما يقرب من أربعين عاما متصلة، لقد قدم د. عبـــد الغفار مكاوي جهدا عظيما وإسهاما رائعا في ترجمة الشعر وأعتقد أنه من الصعب تقييم هذا الجهد من خلال مقالة واحدة، فمترجما القدير لم يقبـــل على عمل إلا وأعطاه حقه من العمل والصبر والجهد والدأب وأصبح ذلك سلوكا راسخا عنه وأسلوبا خاصا به .

إن مقدمات الترجمات التي كتبها تعتبر بحق مثالا لما يجب أن تكون عليـــه الدراسة النقدية، إنه يغوص في حياة الشاعر وتجربته الحياتية والظرف المكاني

والزماني الذي يعيش فيه. فضلا عن دراسة كافة المؤثرات أيا كان نوعها على إبداعه ومن خلال ما أبدعه الشاعر يرسم د. عبد الغفار مكاوي لوحة متكاملة الأبعاد ومتعددة الظلال والألوان للمبدع وإبداعه، إنه لا يستسهل ولا يستعجل ولا يبحث عن عائد سريع أو مردود عاجل وإنما يكرس جهده وعمله ومواهبه من أجل أن تخرج الترجمة أقرب ما تكون إلى روح التمام والكمال – أقول أقرب لأن الكمال لله وحده.

ترجمة المسرح :

مارس د. عبد الغفار مكاوي المسرح تأليفا وترجمة قد أحبه إلى درجة العشق، وقد ارتبط اهتمامه بالمسرح منذ البداية وحتى اليوم بدراسة الفلسفة وتدريسها وهو يعترف بذلك فيقول:"ربما كان عشقي للسيرك في سنوات الطفولة هو الأب الشرعي لجنوني بالمسرح تأليفا وترجمة ودراسة ومتابعه لعروضه في الداخل والخارج"، ولذلك حينما اتجه إلى ترجمة المسرح فقد أبدع وتميز ومعظم النصوص المسرحية قام بترجمتها عن الألمانية، وحين كان يعمل مترجمنا القدير في دار الكتب المصرية وقع في يده كتاب صدر بالفرنسية عن الشاعر والكاتب المسرح برشت وتضمن نص مسرحيته التعليمية "الاستثناء والقاعدة" مع عدد كبير من الكتابات النظرية عن ظاهرته الملفتة للأنظار، فقام بترجمة هذه المسرحية المثيرة والمستفزة عن الفرنسية، ووجدت طريقها للنشر في مجلة الهدف في نفس العام ثم حصل

على منحة بعد ذلك من ألمانيا الغربية وتوفر له دراسة الفلسفة والأدب الألماني الحديث لما يزيد عن خمس سنوات، وبعد أن تمكن من اللغة الألمانية تتابعت الترجمات على فترات مقاربة "محاكمة لوكوللوس" مع الاستثناء والقاعدة عام ١٩٥٦ والسيد بونتيلا وتابعه ماتي عام ١٩٦٧، وقد صدرت كذلك ضمن كتاب عن المسرح التعبيري عام ١٩٧٤، ثم ترجم أثناء وجوده بجامعة الكويت في أوائل التسعينات أوبرا ماهاجوني "ازدهار وسقوط مدينة ماهاجوني"ترجمة شعرية.

أما الكاتب جورج بشنر "١٨١٣ – ١٨٣٧" فقد ترجم مسرحياته الكاملة، وهي لا تزيد عن مسرحية من خمسة فصول هي موت دانتون ومسرحيتين قصيريتين وقد صدرت هذه المسرحيات عن هيئة الكتاب في طبعتين كاملتين في سنتي ١٩٧٩، ١٩٩٢ثم قام بترجمة مسرحية "توركواتوتا سو" لشاعر الألمان الأكبر جوته "١٧٤٩ – ١٨٣٢" وقد صدرت عن سلسة المسرح العالمي عام ١٩٩٦ ثم قام بترجمة مسرحيتين لأبرز كتاب المسرح الألماني من الجيل الثالث بعد بريشت وهو تانكريد دورست "١٩٢٥" وهما مسرحية "خطبة الإدانة الطويلة أما سور المدينة" فرنادو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب وقد صدرا في كتاب ضمن المشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٩م.

وقد قام مترجمنا القدير بمراجعة عدد من المسرحيات منها:

"سور الصين العظيم" لماكس فريش ، "وماراصاد"بيتر فايسو"نـــزوة العاشق" و"الشركاء" لجوته و"اقتسام الظهيرة" لبول كلوديل.

لقد استطاع د. عبد الغفار مكاوي أن يكون صادقا في ترجمة هـــذه المسرحيات، صادقا في نقل الألفاظ وصادقا في نقل المعاني، بل وصادقا في نقل ظلال المعاني وفي الأسلوب الذي تمثله تلك الظلال.

ومن مسرحية "فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب" هذا الجـــزء الصغير الذي يحمل روح المواجهة بين فرناندو كراب وجوليا تتكشف لنا إمكانات د. عبد الغفار مكاوي في ترجمة المسرح الذي عشقه.

فرناندو كراب: ألاحظ الآن ياجوليا أن قدميك جميلتان جداً.

جوليا: لن تحصل على أبداً.. أبداً إلا إذا مت.

فرناندو كراب: ولكنك تحبيني يا جوليا..أنت تحبيني الآن بالفعل!

ولهذا ستتزوجيني.

جوليا: باعني! واشتريتني!

فرناندو كراب: تتصورين أنني أملك المال وأنك أنت السلعة.

جوليا: صارخة أجلّ! أجلّ!

فرناندو كراب: أنا لم أعرض على أبيك أي شروط عندما سلمته المال، لم أطالب بأي شيء أترفضين أن تحبيبني ؟!

ولكن هذا مستحيل مستحيل أن يرفض حبي أي إنسان.

ومن خلال هذه القطعة السابقة نلاحظ أن المترجم قام بنقل الألفـــاظ والمعاني والأسلوب من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية بحيث إن المتكلم باللغة لعربية يتبين النص بوضوح ويشعر به بقوة كما يتبينها ويشعر بها المـــتكلم باللغة الألمانية.



محمد مستجاب

"في صحبة روائي غير عادي"

عندما تجلس معه وتكون في صحبته فأنت مع شجرة وارفة الظلال تنوء بثمارها وربما توخزك بأشواكها، وفي الحالتين أنت المحظوظ، لأن في الثمار متعة وفي الأشواك يقظة.

إنها شجرة الحكي أو تل الحكايات أو محمد مستجاب، كلها مترادفات لمعنى واحد، رائع حقا أن يمر الإنسان في حياته بهذا الكم الكبير والمحيط الهادر من التجارب والخبرات والأحداث المتلاحقة والمتنوعة، وأروع من ذلك أن يحتفظ بذاكرة حافظة تستطيع أن تستدعي ما يريده وقتما شاء في تسلسل عجيب، ممسكا بكل خيوطها في براعة يحسد عليها، والأرواع من ذلك أن يبلور ما يحكي في إطار له ملامحه الخاصة وأغواره العميقة، كل هذا في أسلوب عفوي تلقائي ينساب في هارمونية انسياب النغمات الموسيقية المتواترة دون نشاز أو تباطؤ سمفونية الحكي هنا مكتملة الأركان سليمة البنيان.

بدأت حكاية ذاك الكاتب المشاكس في ديروط الشريف، في أسيوط بمصر في الثانية والعشرين من يوليو عام ١٩٣٨، حيث المولد والنـــشأة في أسرة فقيرة بالكاد تستطيع أن توفر لقمة العيش لأفرادها، ويمكن أن نتوقع ما سوف يحدث لمن يولد في مثل هذه الظروف.

وبعيدا عن التوقع لا يخفي محمد مستجاب شيئا من معاناته وحياتـــه المضطربة، والتي عضها الفقر بأنيابه، فيحكي عن أبيه وأمه وأخواته وجيرانه من المسلمين والأقباط، يحكي دون تحفظ من غير أن يجمل صورته مثمـــا يفعل بعض الأدباء بعد أن يصلوا إلى مدارج الشهرة وهم يظنون أن ذلك من الوجاهة الاجتماعية، وحتي لا تنقص أقدراهم في عيون الناس، فهـــل يعيب الكاتب المسرحي العالمي آرثر ملير أنه ظل يعمل بائعا للخبز فتـــرة كبيرة من حياته، أو يعيب عملاق المسرح والشعر وليم شكسبير أنه كان يقوم بربط الخيل أمام المسرح للسادة الأمراء والأغنياء قبل أن يصبح كاتبا عظيما، أو يعيب المفكر الكبير عباس محمود العقاد أنه عمل ملاحظا للأنفار في بداية حياته و لم يتعلم تعليما نظاميا؟

لقد استوعب مستجاب هذا الدرس وأيقن أن الصدق لا يتجزأ وبدايته أن يصدق الإنسان مع نفسه حتي يصدقه الآخرون.

وقد مارس مستجاب أعمالا كثيرة: كاتبا عند محامي، عاملا بسيطا في السد العالي، موظفا بسيطا في مجمع اللغة العربية... أعمالا عانى فيها كاتبنا

الكثير والكثير، حياة لم تعرف الاستقرار المادي، حتى استقر به الحال كاتبا وصحفيا منفردا فيما يكتبه، وقد تكون هذه الانكسارات هي التي جعلت صوت إبداعه متميزا، فمن عادة الأشياء المسكورة أن تحدث صوتا دائما، وقد كان الكاتب الكبير صبري موسى موفقا حين وصف مستجاب قائل: "أحيانا يذكرني صديقي محمد مستجاب بالسحرة – الحواة لا مؤاخذة – حين يخرج حمامة من أذنه – لا تحاول أن تبتعد بالحمامة عن المعنى الـــذي أقصده – ثم يضعها على كفه ويمر عليها بكفه الأخرىفتصبح بيضه، يلقي بها أمام عينيك فإذا بزلومة يبرطع في الساحة ساحبا خلفه ذيله القصير"!

هذا الفتى العجوز أو العجوز الفتى الذي ينتمي للصعيد بالمولد، ويعتبر بقية أقاليم مصر ضواحي لهذا الصعيد، يخبيء وراء جلبابه التقليـــدي قلبـــا طفوليا طيبا جدا، لكنه عامر بشقاوة الطفولة وطقوس العرافين والكهنـــة ومعارف الفلاحين والكتبة من كل أقاليم مصر في بحري وقبلي.

في هذه البيئة القاسية وبين هذه العائلات التي تعض بكل أنيابها علـــى عادات وتقاليد راسخة تتسم بالخشونة لا تعـــرف المرونـــة أو التـــسامح، ولاسيما في الأمور المقدسة لديهم كالأخذ بالثأر أو المحافظة على الشرف، نبت مستجاب مثل عود من أعواد القصب، طويلا شامخا، ولكن بقلـــب بعيد كل البعد عن القسوة وملامحه وإن كان يتباهى بلكنة الصعيد وجلبابه المحافظ مع آبائه وجوده في ديروط الشريف، لقد سمع ورأى فرحا قلـــيلا

وحزنا كثيرا، وخبر وعانى بإحساس الفنان ومشاعر الأديب تلك الأحداث الموغلة في القسوة.

وفي قصته "موقعه الجمل" يصور انتقام أهل القرية من المدعو "الجمل" حين اجمعوا على قتله هو وزوجته وأبناؤه:

"وماجت اًصوات مفزعة — وكاد الطفلان يعودان رعبا إلى الداخل- حينئذ تحركت بلطة سوداء تحركت بلطة سوداء صدئة ومارت في الجـــو، واندفعت في سرعة إلى رأس الطفل، ثم بلطة أخرى شرسة، وانشرخ رأس الطفل وسقطت قراعتها، وبلطة ثالثة تلمع — لتتمزق رقبة الطفلة — وارتمت الرقبة — إلى الخلف — بلطة إلى أعلى وبها قماشة الفستان.

هذه المشاهد التي يختزنها الكاتب في ذاكرته ووجدانه لا تفارقه أبـــدا، وإنما ينجو من بعض تأثيرها المزلزل حين يكتبها وكأنه يقوم بعملية تطهير داخلي، لأنه يرى الأشياء ويستدعيها بإحساس الطفولـــة دون تفلـــسف أوتفسير يفسدها.

إنها بكارة الرؤية، لأنه يتعامل مع الأشياء والأحداث وكأنه يراها لأول مرة، وقد أضفى ذلك نوعا من الطزاجة على معظم ما يكتبه فأنت تقبض على الرغيف السخن الذي خرج توا من الفرن، وذلـــك يجعـــل إبـــداع مستجاب متميزا من حيث اللون والطعم والرائحة.

عندما سألوا الكاتب المسرحي الفرنسي "فنري دي مونترلان" عن سر نجاح مسرحياته هذا النجاح المدوي رد قائلا:
- لقد تعودت أن أقول في مسرحياتي وبصوت مرتفع تلك الأسرار التي لا يقولها الناس إلا همسا.

وهذا يتطابق إلى حد كبير مع ما يفعله مستجاب في كتاباته، إنه يقول ويحكي، يقص ويبلور كل ما هو قريب منه، يكتب عما يعرف ويشعربه وله مخزون في أعماقه، لكن حين يفعل ذلك لا يتحفظ ولا يتجمل رغم ما في أسلوبه من رشاقة وما في لغته من طزاجة، وما في سرده من فنية عالية وتشويق رائع سواء كان الإبداع قصصيا أو روائيا أومقاليا.

هذه الرحلة الممتدة من ديروط الشريف في أسيوط إلى قلب القاهرة، والمترعة بكل صورة المعاناة والألم، امتزجت بروح صاحبها الساخرة المتهكمة، حيث يختلط الضحك بالبكاء والمعاناة بالفكاهة.

إنه التنكيت والتبكيت في آن لاتستطيع أن تفصل بينهما، يصف الناقد الكبير "إبراهيم فتحي" هذا الضحك الممزوج بالألم فيقول "يبدو أن الضحك الساخر له علاقة جمالية بالواقع، ووسيلة خاصة لرؤيته ولبناء صورة حية للشخصيات ولخلق حبكات مبتكرة واستنبات فروع جديدة إلى الأنواع الأدبية من قصة ورواية".

وهذا الضحك لا يجلجل مدويا في صخب يقرع الآذان، ولا يملؤنا فرحا، ولا ينهي توتراتنا من تناقضات الواقع بانفرجة للتنفيس كي يحافظ على الأوضاع والقيم الراهنة، ومعظم إبداعات محمد مستجاب تعتمد على هذه الثلاثية المتناغمة وهي:

الذكاء والألم والسخرية

ذلك الذكاء الفطري البري المتوحش الذي يصل في تحليل الأحداث والظواهر إلى جذورها الأولى إلى بدايات التكوين، يساعده على ذلك امتلاكه لغة مخترقة وإحساس عبقري بكل ما يحيط به، ولا يستسلم لمقولات الآخرين، فلديه معمل بسيط التكوين لكنه قادر على الفحص والدراسة والمقارنة والتحليل والاستنباط، ولا تملك إلا أن تندهش حين يمسك بفراشات الفكر ليطوعها ويبلورها ويفاجئك بها، أما الألم فهو عنصر جوهري في تكوين أديبنا هذا الكاتب المشاكس، كما النار التي تحرق الذهب فتزيده لمعانا وبريقا، الألم الذي يصقل ويهذب ويعلم، ومع ذلك لم يخلق فيه إحساسا بالنقص، بل ولدّ لديه شعورا بالتحدي والمقاومة وهذا ما يجعله لا يفرح كثيرا عندما تأتيه الغنائم، ولا يحزن أبدا لفقدها، فالأهم عنده أن يحيا بكل ما في الكلمة من معنى، يستمتع بالمكان والزمان والأحداث، يتأمل الناس والبحار والجبال، ويتذوق الفن والفكر والموسيقى، يعشق الجمال والماء والهواء، يقدس الحب والصداقة والعمل أما السلاح الذي

يخفيهوراء ظهره فهو السخرية، فهو يستطيع أن يحول حتى الحديث العاديإلى مادة صالحة للتهكم والسخرية.

إنها مقدرة فذة لا يتمتع بها سوى القليل. إن ندرة هذا الأسلوب في أدبنا العربي يجعل من مستجاب فارسا لا يبارى في هذا المجال حتى إنه فعل ذلك وهو يقدم لنا "مستجاب الثالث" ومستجاب الرابع ،"وآل مستجاب جميعا".

وقد قال لي الكاتب ذات مرة إن هناك بعضا من أهله قد اشتد بهم الغضب بسبب ما يكتبه عنهم في قصصه ورواياته التي تفصح آل مستجاب قياما وانهيارا للكون الفني والعالم الواقعي سواء بسواء في أدق مظاهره وأهم عناصره.

عالم مستجاب الروائي

إن ملكة التخيل عند الكاتب هي التي تفجر الإبداع، لإنها في الوقت نفسه تلملم أشلاء الواقع في أطر وأنساق فنية، ولا يوجد إبداع دون تفاعل الخيال مع الواقع، أما عن الواقع الذي كابده، وعايشه مستجاب فإنه من الثراء والتنوع في مفرداته وعناصره إلى الدرجة التي تكفي لخلق عوالم إنسانية لا حد لها، فإذا علمنا أن صاحبها متفجر الخيال يفيض بالعاطفة والحس الإنساني لعرفنا إلى أي حد تمتد قدراته الإبداعية، فهو ينفخ من روحه وفكره في هذا الواقع، ويبلوره في صور وأشكال أقرب إلى الأساطير حتى يتعذر على القارئ أن يفصل بين ما هو حقيقي وما هو خيالي، وعملية

الدمج هذه تتم من خلال فنية عالية تتسم بالصدق والتلقائية، ويزيدها جمالا تلك اللغة الشفيفة الشاعرة التي لا تكتتر ولا تترهل، فالمبنىعلى قدر المعنى، وقد ظهر ذلك جليا في مجموعاته القصصية: ديروط الشريف، قيام وانهيار آل مستجاب، الحزن يميل للممازحة، كما ظهر في روايته "من التاريخ السري لنعمان عبد الحافظ" إنه الرابع من آل مستجاب، بل ومن خلال مقالاته في الصحف والدوريات: حرق الدم، بوابة جبر الخاطر، زهر الفول، نبش الغراب.

خاتمة

عندما اعترض أحد مديري الفنادق الفخمة على وجود محمد مستجاب – وكنت معه في مرسى مطروح – لإنه يرتدي الجلباب الصعيدي دائما في صالة الطعام، عندئذ هاج مستجاب وغضب وأصر على مغادرة الفندق.

ساعتها تراجع مدير الفندق واعتذر، واستمر مستجاب يتجول داخل وخارج الفندق وهو يرتدي هذا الزي التراثي.

ورغم أنه – أحيانا – لا تؤمن عواقبه فإنه كان يمتلك وجدان الفنان المرهف، وعقل المفكر العميق، وقلب طفل لا يخلو من البراءة.

محمود الربيعي بعد الخمسين

إن سيرة الزعيم الصيني الراحل ماوتسي تونج والتي كتبها طبيبه الخاص قد أفزعت محبيه بما احتوته على أسرار وانحرافات صدمت الذين كانوا يقدسون زعيمهم، أما السيرة الذاتية العربية فمازالت تتوخى الحيطة والحذر من جانب صاحب السيرة، وهناك بعض السير التي تقدرها لفنيتها ولقيمة أصحابها منها الأيام للدكتور طه حسين وأنا للعقاد وحياتي لأحمد أمين وسجن العمر لتوفيق الحكيم وغيرها من سير السياسيين والمشهورين في مجالات أخرى.

كتب الدكتور محمود الربيعي الناقد والأكاديمي الجزء الأول من سيرته بعنوان "في الخمسين عرفت طريقي" وقد تناولها الكثيرون بالدراسة والتعليق عليها ثم جاء الجزء الثاني من السيرة بعنوان:

"بعد الخمسين" وإذا كان الجزء الأول قد غطى الخمسين ســنة الأولى من حياة الكاتب فإن الجزء الثاني يغطي العشرين سنة التالية وفي ذلك يقول الناقد الدكتور محمود الربيعي: "ولم يدر بخاطري قــط أن كتــابي ذلــك سيكون له جزء مكمل، وذلك لأنني لم أقدر قط حين كنت في الخمــسين من عمري أنني سأعيش حتى سن السبعين".

حقا إن الأعمار بيد الله، لكن أبوي لم يعمرا، وبيئتي التي نشأت فيها بيئة صعبة بأنها ممتازة، إن لم تكن ضعيفة، لذا فقد كانت حساباتي تجعلــني أقدر أن "نصف قرن" من الزمان على هذه الأرض لحياة مثل حياتي يكف ويزيد ولعل هذا كان وراء حرصي الشديد على أن يرى كتابي النور قبــل رحيلي، ولست متأكدا من أنني لم أنجزه يومئذ على عجل، لكن ها هو ذا القدر يمهلني حتى أتجاوز السبعين ومعنى هذا أنني بقيت في معتــرك الحيــاة عقدين إضافيين، وهما عقدان حافلان ماتت فيهما قيم، وولــدت قــيم.. وحدثت تغيرات هائلة على مستوى الوطن والعالم، كما حدث في حيــاتي الشخصية والمهنية والثقافية، ما أراه جديرا بالتسجيل.

تتكون السيرة من ثلاثة فصول الأول في وكالة دار العلوم والثــاني في الجامعة الأمريكية والثالث في الحياة الثقافية ثم الخاتمة وأخيرا ملحق بعنوان علموني فتعلقت بهم، ومن خلال هذه الفصول يحدثنا الــدكتور محمــود الربيعي عن دوره أكاديميا، ناقدا، مثقفا، ويتجول بنا في أسفاره وخاصة في

المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ويطوف بنـــا بـــين الكتـــب وذخائر المعرفة، نتعرف من خلاله على أصحاب الفضل في مسيرته الحياتية ومواقفه من بعض القضايا الأدبية والنقدية ونظريات التعلم والمعرفة والفرق بين النظم التعليمية في الشرق والغرب وأحوال المثقفين والكتاب في عـــالم مادي لا يكترث بأصحاب الكلمة ويتطرق بنا إلى كيفية منح الجوائز ومن هم الذين يحصلون عليها، ولذا فهي وظيفية أكثر منها حياتية هي سيرة تعنى بالأدب والنقد والحياة الثقافية وليس بالعلاقات والمواقف الحادة ولا ينسى د. الربيعي أن يؤدي دوره النقدي على جميـــع المـــستويات الاجتماعيـــة والأكاديمية والأدبية والثقافية والإدارية، فهو ينتقد أساتذة دار العلوم الذين سافروا إلى الخليج جاءوا بسلوكيات غريبة، هو لا ينتقد السفر في حد ذاته فهو نفسه قد سافر إلى الكويت، وفي ذلك يقول:"وأخطر ما في الموضوع أن كثيرا من هؤلاء الذين ذهبوا لم يعودوا بالمال فحسب، وإنمـــا عـــادوا يحملون عادات سلوكية غريبة، وأفكارا أشد غرابة سرعان ما انتشرت في جو الكلية انتشار النار في الحطب، وخلخلت لذلك أساليب علمية كانت مستقرة واستبدل بها الفكر الذي يلبس عباءة المعرفة، ولا يصمد في وجـــه أي تحليل منطقي أو منهجي.

ويستمر في نقده لنظام التدريس في دار العلوم، أقسام علميـــة علـــى الورق، ولكن الواقع أن ما يدرس للطلاب إنما هو مجموعة مواد تقـــدمها

هذه الأقسام الشكلية عبر سنوات أربع والصراع مستمر، كلما فتح بـــاب تطوير المناهج على عدد الساعات التي ينبغي أن يعرضها كل قسم والغلبة عادة للقسم الذي يتمتع بأكثر أعضاء هيئة التدريس عددا، أو القسم الذي يكون العميد أحد أعضائه.

أما عن نظام التعليم في الجامعة الأمريكية فيقول: ثمة أوجه شبة كثيرة بين نظام التعليم في الجامعة الأمريكية وهو ما يطلق عليه نظام التعليم الحر وبين نظام "شيخ العمود" في الأزهر القديم : إذ يختار الطـــلاب مـــوادهم ومدرسيهم وأوقاتهم ويحصلون على "إجازتهم" بتحقيق درجاتهم في المـــواد التي درسوها.. ومعنى هذا أن الجامعة الأمريكية لا تعرف نظام الكنتـــرول المعمول به في الجامعات المصرية، والذي يلتهم وقتا كبيرا من الأسابيع التي ينبغي أن تكون من نصيب الدروس.

هكذا يشبه هذا التعليم نظام الأزهر القديم كما قلت وإن لبس شارة العصر، وهو يوفر الوقت كما يقوم على الشفافية لا الـــسرية والكاتـــب شغوف بعقد المقارنات في أمور كثيرة بيننا وبين أوروبا وأمريكا حـــتى في أسلوب عقد المؤتمرات الثقافية فيقارن بين مؤتمر عقد في أحد أقاليم مـــصر وبين مؤتمر عقد في أسبانيا عن طه حسين عام ١٩٩٠ فينقد الفروق بـــين هذا وذاك من حيث الإعداد والتخطيط والإقامة والبرامج وبطبيعة الحـــال المقارنة في صالحهم.

أما عن الواقع الثقافي فمن خلال احتكاك د. الربيعي وتفاعلــه مــع مفرداته فقد تكشفت له الكثير من المساوئ وليس من سمــع كمــن رأى وشارك. يقول صاحب السيرة: إن الثقافة لا يمكن أن تزدهر في جو اللوائح الرسمية التي تحتفظ بالميزانية في يدها، وتوزعها بقرارات سيادية أما المسئولون فهم دائما يقولون إنها مزدهرة وقد بلغت ازدهارها الحقيقي نتيجة لجهودهم هم أنفسهم.

كما ينتقد الكاتب نظام الجوائز ولا يخفي إعجابه بالــشاعر والناقــد الكبير أدونيس وبثقافته التي تجمع بين ما هو أصــيل ومــا هــو معاصــر وحديث، كما يذكر الكاتب البواعث والدوافع والتي أقبل بسببها علــى كتابة سيرته الذاتية وهي: أول أهدافي أن أحقق سعادتي حين أمارس حريتي بوضع الكلمات على الأوراق فأنا أجد في هذا الفعل راحــتي منــذ أن تحكمت في "القلم والقرطاس"، وقد كتبت في حيــاتي شــعرا ورســائل شخصية وأبحاثا أكاديمية وتقارير إدارية وحين لا أجد شيئا مفيــدا أكتبــه أشغل نفسي عادة "بالشخبطة" على الأوراق هنا أشعر كأن حمــلا ثقــيلا يلقى على كاهلي، ولا يغنيني بعد ذلك أكان ما كتبته ذا معنى يتعارف عليه الناس، أو كان خاليا من المعنى جملة في نظرهم ويسرني بــالطبع أن يجــد كلامي طريقه إلى الآخرين، أما أنه يعود عليّبعد ذلك بــالنفع المــادي، أو يجلب إلي إطراء أو شهرة أو يجلب عليّ في الجانب الآخر رفضا أو حــتى

متاعب، فهذا لا يشغل بالي على الإطلاق.. حين أكتب أحس بالحريـــة، وحين يكون موضوع الكتابة سيرة حياتي أحس بحرية مطلقة، لذا فإنني في الحالة الأخيرة اختار ما أريد وأطرح ما أريد، واختار لذلك من العبارة ما أريد، مستجيبا لدواعي نفسي في جميع الأحوال، وأعبر عـــن قـــدراتي في فحص ما بداخلي دون مواربة أو تكلف.

وأظن أن السيرة الذاتية للناقد د. محمود الربيعي فيها الكثير من المنافع لمن أراد الكفاح من أجل العلم أو أراد أن يثقف نفسه تثقيفا ذاتيا، أومـــن أراد أن يولي وجهه شطر الأدب والنقد والثقافة.

العقاد ومندور

أكد العقاد وجوده الأدبي والنقدي كصاحب مشروع ثقافي متكامل وصاحب خطاب نقدي جديد في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، كما حقق مندور ذلك في الأربعينات والخمسينات من القرن نفسه. وإذا كان العقاد ومندور قد فارقا الحياة في عامي ٦٤، ٦٥ على الترتيب، نستطيع القول إنهما تجاورا في الحياة الأدبية نصف قرن أويزيد.

وبداية من عام ١٩٣٩ حين عاد مندور من فرنسا دون حصوله على درجة الدكتوراة، لكنه قد عب من الثقافة الفرنسية ونهل من العلوم والفنون الكثير وفي نفس الفترة كان العقاد في قمة صعوده الأدبي والنقدي عندئذ كان لابد من الالتقاء والتقاطع ثم التقابل والتصادم الفكري، فكانت المعارك

النقدية التي أشعلت الساحة الأدبية وروت الحقول الفكرية بخلاصة أفكارهما وهناك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها هل كانت هذه المعارك ناتجة عن:

صراع بين جبلين؟

صراع بين ثقافتين؟

أو صارع بين مذهبين نقديين مختلفين؟

أم أن جوهر الصراع نشأ لاختلاف التكوين السياسي لكل منهما؟

إن محاولة الإجابة على هذه الأسئلة يمكن أن تكشف عن أبعاد واتجاهات الأنساق النقدية والفكرية لكل منهما. حين قامت ثورة ١٩١٩ كان العقاد يقترب من الثلاثين من عمره وكان لسيادة الاتجاه الليبرالي عقب هذه الفترة أثرا كبيرا في اعتناقه وإيمانه بالحرية في إطارها الليبرالي مثل غيره من معاصريه طه حسين والمازني وشكري، وفي بدايات الثلاثينات في القرن العشرين أصدر هو وصاحباه المازني وشكري كتاب "الديوان" وكان علامة فارقة في الحركة الأدبية آنذاك وفيه يقول العقاد مخاطبا شوقي:

" أعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها، وأن ليست مزيه الشاعر أن يقول لك عن الشيء وماذا يشبه وإنما مزيته أن يقول ما هو ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به"، وكما يقول الكاتب والناقد د. ماهر شفيق فريد في مقدمته لكتاب الديوان:

وصف الدكتور محمد مندور – وكانت بينه وبين العقـاد خلافـات كثيرة في الرأي – هذا الجزء من كلام العقاد والكلام الذي يليه بأنه كلام رائع يدل على فهم صحيح لحقيقة الشعر كما يفهمه الغربيون وأثنىعلـى هذه الفقرات القوية المركز وإن أردف بعد ذلك ببعض تـساؤلات عمـا يقصدهالعقاد بلباب الأشياء ورأى في كلامه جمعا بين عدة مذاهب شعرية غربية متصارعة، ولا ريب في أن الذي يقوله العقاد هنا وإن كان مألوفـا لقارئ كانط وهيجل وشلنج وشلجل وكولردج، كان ذلك ثورة فكريـة مطالع القرن العشرين، ونقلة نوعية خطت بالنقد الأدبي في مصر خطوات رائعة.

يتحدث العقاد عن مذهبه في النقد في يومياتـه في جريـدة الأخبـار في ٢٠/١١/١٩٦٣:

"إن مدارس النقد الأدبي لكثيرة في الأزمنة الماضية وفي هذا الزمن الذي شاعت فيه الدراسات النفسية أيما شيوع وإننا نقدرها كل قدرها ونقـدر الكثيرين من أعلام النقد الذين تناولوا الأعمال الأدبية على أصولها، نحـن نقدر المدرسة التاريخية كما نقدر المدرسة الاجتماعية ونقدر المدرسة الفنية كما نقدر معها المدرسة اللغوية والبلاغية وكل منها قد دل على شيء من قيم الأدب لا نستغني على الدلالة عليه، ولكننا نفضل المدرسة النفسية؟ لأن المدرسة النفسية تغنينا عنها، ولا تلجئنا إلى مزيد من البيان بعد المعرفة لنفس

الشاعر وباعثها الظاهرة في معانيه وألفاظه وأسلوبه وأغراضه النفسية المتمثلة في تلك المعاني والألفاظ وأسلوبه وأغراضه النفسية المتمثلة في تلك المعاني والألفاظ وذلك الأسلوب، نحن نعرف كل ما نريد أن نعرفه وكل ما يهم أن يعرف متى عرفنا نفس الشاعر وعرفنا كيف يكون أثرها في كلامه، وكيف يكون أثر هذا الكلام في نفوس الناس، ولكن المدارس الأخرى لا تكفي هذه الكفاية للعلم بالشاعر وشعره، ومن ثم يتبلور منهج العقاد النقدي في هذه المدرسة النفسية والتي كانت المحور الرئيسي في معظم دراساته النقدية وخاصة في الشعر والتراجم والعبقريات ومنها "ابن الرومي حياته من شعره".

"شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي"، "رجعة أبي العلاء"، "أبو نواس الحسن بن هانئ"، "وتتبدى ملامح هذه الطريقة من خلال ربط حياة الشاعر بفنه وبيان التمازج بينهما غير أن الغلبة كانت للمقارنة النفسية، فالعقاد اتخذ الخطاب الشعري وسيلة للوصول إلى شخصية الشاعر ونفسيته دون تعمق في خصائصه الفنية وقيمة الجمالية والخلاصة إن ما يعرف بالخطاب "السيكوبيوجرافي" في السيرة الشعرية والعبقريات والسيرة الذاتية عند العقاد قد دار في فلك الشخصية وهذا لإيمانه بالفردية والحرية بل لإيمانه بأن الإنسانية تأخذ مسارها من الاجتماعية إلى الفردية، وهذا ما دفعه إلى الإمعان في موقفه المتعنت من دعاة الواقعية الاشتراكية والتشبث بالنزعة

النفسية والعبقرية الفردية، ومن ثم يقودنا المذهب النقدي للعقاد إلى المذهب النقدي المقابل الذي يمثله مندور قائلا:

"لم يتكون مذهبي في النقد نتيجة لدراساتي الأدبية في مصر والخارج وحدها، بل اشتركت تجاربي في الحياة أيضا في تكوين هذا المذهب، ففي أوائل حياتي العملية بالجماعة، وعند عودتي من الخارج في سنة ١٩٣٩ كنت مأخوذا بعلم الجمال اللغوي الذي عمقت قيمه في نفسي قراءاتي المتصلة في الآداب اليونانية واللاتينية القديمة والفرنسية قديمها وحديثها، ولذلك لم أكد أعود من الخارج وأبدأ الكتابة في مجلتي"الثقافة " و"الرسالة" حتى رأيتني أحفل أولا وقبل كل شيء بالقيم الجمالية اللغوية في الأدب عامة والشعر خاصة، لأنه المجال الذي نلمس فيه بوضوح هذه القيم الجمالية، فدرست تاريخ النقد عند العرب القدماء في كتابي "النقد المنهجي عند العرب" على ضوء هذا المذهب التأثري، وفضلت من نقاد العرب القدماء من أوتي الذوق المثقف المستنير الذي يستطيع أن يحس بالقيم الجمالية في الشعر، وأن يهدينا إليها مثل الامدي في كتابه"عن الموازنة بين الطائيين" أي بين البحتري وأبي تمام ومثل القاضي عبد العزيز الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه".

وعن نفس المذهب صدرت في نقدي لعدد من الأدباء والشعراء المعاصرين، وفضلت ما سميته بالشعر المهموس عند المهجريين من أمثال

نعيمة ونسيب عريضة وغيرهما على الشعر الخطابي التقليدي عند عدد من شعرائنا المعاصرين، وفي كتابي "في الميزان الجديد" وفيه تطبيقات عدة لهذا المذهب التأثري كما أن فيه دفاعا حارا عنه ضد من هاجموه عندئذ كأنصار المذهب النفسي في النقد،وهو المذهب الذي يهتم بالأديب أوالشاعر أكثر من اهتمامه بإنتاجه الأدبي أو الشعري كفن لغوي جميل، ثم اتجه مندور إلى النقد الإيدلوجي وفي ذلك يقول:

أستطيع أن أقرر أن مذهبي في النقد قد أصبح في صورته النهائية يقوم على أساسين: أساس أيدلوجي ينظر في المصادر والأهداف وفي أسلوب العلاج، وأساس فني جمالي ينتظم في مرحلتين أحاول دائما أن أجمع بينهما في كل نقد تطبيقي.

نحن هنا أمام مجموعة من الفروقات الواضحة والتباينات أهمها أن العقاد تألق في فترة المد الليبرالي، أما مندور فقد تألق في فترة المد اليساري فالأول آمن بالحرية الفردية في إطارها الليبرالي.

والثاني اعتنق الديمقراطية الاجتماعية في إطارها الاشتراكي وأظن أن هذا الاختلاف في التكوين والاتجاه السياسي كان وراء تباين المناهج النقدية عندها، فتحمس العقاد للمنهج النفسي والتزم مندور بالنقد الأيدولوجي التأثري.

ناقدان من جيلين مختلفين، اختار كل منهما مذهبا غير المذهب الذي اختاره الآخر، وإذا كان العقاد قد تأثر بالثقافة الأنجلوسكسونية بإطلاعه على الأدب الإنجليزي، فإن مندور تأثر بالثقافة اللاتينية في معايشته للأدب الفرنسي، ومن ثم تبلور ذلك في معاركهما النقدية وفي ذلك يقول الناقد د.جابر عصفور: "ولم يكن غريبا أن يختلف مندور عن هؤلاء الأساتذة وأن يضيف إليهم، بل ويدخل مع بعضهم في معارك ضارية ومعركته الأشهر مع العقاد الذي كان عنيفا في اختلافه عنيدا في إصراره على رأيه.

وفي إحدى يومياته في الأخبار في ٤/ ١٢/ ١٩٦٣ وتحت عنوان: "شيخ النقاد".. هل ولد اسألوه؟ كتب العقاد:

"شعرنا ليس بشعر، لأن شعر "الهمس" هو الذي يرتضيه شيخ النقاد وقد نسى شيخ النقاد أنه الناقد الاجتماعي العصري الصناعي المادي الذي لم يكتب حرفا واحدا في نقد المذهب الماركسي، ثم نسى مع ذلك أن "الهمس" آخر أساليب التعبير عن ضوضاء الصناعة وثورات الاجتماع ثم يستطرد العقاد قائلا:

وعلى هذه السنة كتب "المندور" قبل ثلاثين سنة ينكر رأينا في ولع المتنبي بالتصغير، وينكر أن يكون للتصغير في شعره شأن غير شأنه في دواوين عامة الشعراء، ولن يقول بذلك أحد فتح ديوان المتنبي في حياته مرتين على صفحة من الصفحات "ويستمر العقاد في مهاجمة مندور"، لكن

الآراء عند شيخ النقاد لا تنقسم إلى صواب وخطأ، وإنما تنقـسم إلى رأي نقول به فهو خطأ لا صواب فيه، ورأي يعارض ذلك الرأي فهو الصواب كل الصواب، وقد سأل الشيخ سائل عن الفرق بين مدرسة العقاد في النقد وبين مدرسته هو فكان جوابه:

إن العقاد يعتمد على النفسيات وأنه هو يعرف أصولا للنقـد الأدبي تعصمه أن يترل إلى ذلك المستوى.

وإذا كان العقاد ومندور قد انضما إلى حزب الوفد وحظيا بعـضويته ثم انشقا عنه فلا غرابة أن يمثل العقاد يمين الوسط ويمثـل منـدور يـسار الوسط، هكذا تباينا واختلفا، لكن ذلك يؤكد قامة وقيمة كل منـهما في تاريخ الأدب العربي المعاصر وفي إسهامها الوفير في مسيرة النقد العربي.

يوسف إدريس

محفور في الذاكرة

في بدايات ١٩٧٤ كنت طالبا بالفرقة الأولى بكلية الصيدلة جامعة القاهرة وأحد أعضاء لجنة النشاط الثقافي وكان معي كل من مجدي أحمد علي الذي أصبح مخرجا متميزا وكريمة الحنفاوي المناضلة والثائرة دائما وسمير دانيال، وكان كاتبا بارعا في كتابة القصة القصيرة لا أدري أين هو الآن؟

كما أنني لم أكمل الدراسة في كلية الصيدلية، ومن خلال هذه اللجنة أصدرنا العدد الأول من مجلة "صوت الصيدلية" لذا فكرنا في إجراء مقابلة مع الكاتب الكبير والمتميز د. يوسف إدريس بمكتبه في الدور السادس بجريدة الأهرام.

تحدد الموعد وذهبنا أنا ومجدي وسمير وأجرينا الحوار وتم نشره في العدد الأول من مجلة "صوت الصيدلية " عام ١٩٧٤ تحت عنوان "أفضل من

كتب القصة القصيرة في العالم". حوار مع د. يوسف إدريس. أجرى الحوار مجدي أحمد علي وربيع مفتاح:

شهد عام ١٩٧٤ خلافا حادا بين الرئيس السادات والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل والذي كان يرأس تحرير جريدة الأهرام حينئذ، فقد خرج السادات من حرب ٧٣ منتصرا ومزهوا بالنصر وأصبحت حساسيته للنقد عالية، كما كان هيكل مهندس العملية التي أطلق عليها اسم مراكز القوى، ولا أدري هل الغيرة الصحفية أم أشياء أخرى عند يوسف إدريس من ناحية هيكل هي التي جعلته يقول حين سألناه عن سبب إبعاد هيكل عن الأهرام:

- أراد هيكل أن يكون دولة داخل الدولة وهذا سبب غضب السادات عليه.

تحولقنا حول يوسف إدريس وهو يجلس في مقعده الوثير الدوار ينظر إلينا بعينين يشع منهما بريق عجيب وذكاء نادر فتاك ونحن حوله لا نصدق أنفسنا أننا في معيته.

بادره صديقي مجدي أحمد علي، "وكان يسبقني بعامين في الكتابة" حين رآه يشعل سيجارة مارلبورو.

- فلاح ويدخن مارلبورو.

فأجابه بثقة:

حصلت على هذه السجائر وأنا في الطائرة القادمة من اليابان.

وقد أصدر يوسف إدريس كتابا عن هذه الزيارات بعنوان "زيارة إلى نصف قارة"، وتنبأ فيه بتفوق دول جنوب شرق آسيا على المنافسين التقليدين مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبالفعل أصبحت نمور شرق آسيا من أهم محاور الاقتصاد العالمي.

جاء دوري في طرح الأسئلة فاتجهت إليه قائلا:

– ما رأيكم في المشاكل التي يعاني منها الأدباء الشباب وكيف نساعدكم كي تحققوا أدبيا؟

– اعتدل في جلسته وأجاب:

– لا يوجد ما يسمي بأديب شاب وأديب غير شاب، يوجد أدب أو لا أدب، والكتابة الجيدة تفرض نفسها على الجميع.

– أصابتني الإجابة بشيء من الإحباط لإحساسي أن سؤالي كان ساذجا، نظرت إلى الكاتب الفذ فلاحظت أنه يعاني من سمنة زائدة وخاصة في منطقة الكرش، لاحظت أنه يأخذ أنفاسه بصعوبة.

– وعرفت بعد هذا اللقاء بسنوات قلائل أن جراح القلب المصري العالمي أجرى له عملية قلب مفتوح وقد كتب إدريس عن هذه التجربة الصعبة في كتابة "الإرادة"، كان كوب الشاي في يدي على وشك الانتهاء بينما راح

كاتبنا الكبير يرتشف القهوة في تمهل وتلذذ وسيجارته لا تفارقه، عندئذ باغته مجدي قائلا:

- كتبت قصة الحرام وحولها هنري بركات إلى فيلم سينمائي، فهل أنت راض عن هذا الفيلم؟ رد قائلا:

- القصة إبداع فردي والفيلم إبداع جماعي، لكن تظل رؤية كل من الكاتب والمخرج هي الأساس، المخرج السينمائي هنري بركات من أهم المخرجين المصريين، ولكن حدث اختلاف في الرؤية بيننا.

- أرى عمال التراحيل من الفلاحين والعمال هم أصحاب البطولة الحقيقية في مجتمعنا، وأنا أنظر إلى قوة تحملهم بدهشة بالغة أما بركات من خلال الأدوات الفنية التي استخدمها أظهر هؤلاء في وضع يستحق الشفقة، وشتان ما بين الشفقة والبطولة، هؤلاء يبنون مصر بأجور زهيدة جدا ليست هي أجورهم الحقيقية، لأن الجزء الأكبر من أجورهم يلتهمه سماسرة العمال والمقاولون مثل إبرة التطريز التي تشكك فتنتبه، كانت كلمات كاتبنا الكبير، انتبهت فأنا أمام كاتب عبقري فذ، ليست كتاباته فقط، وإنما أيضا ما يقوله من آراء.

لم أرد حتى أن أتحرك أو التفت وكأنني أمام كتر أود ألا أترك منه قطعة واحدة، لكنني سرحت برهة ولسان حالي يقول من الضروري أن أصبح طبيبا أدبيا "وهذا لم يتحقق بالضبط".

لقد كتب إدريس القصة والرواية والمسرحية والمقالة وشارك بآرائه في الحياة السياسية والثقافية لكنه يظل أمير القصة القصيرة بلا منازع، وهو قد قال لنا بثقة تمتزج بالغرور:

- لابد لمن يريد أن يكتب القصة القصيرة أن يمـــر بالتـــشيكوفية أولا ثم الإدرايسية بطبيعة الحال يشير إلى نفسه.

اتسمت كتابات يوسف إدريس ببكارة الرؤية فهو يرى الأشياء وكأنه يراها لأول مرة وقد أطلق الناقد الروسي الشكلاني شكلوفسكي على هذه الظاهرة "التغريب"، كما حفر إدريس مشروعا أدبيا خاصا به لم يقلد فيـــه أحدا فله بصمته الخاصة في معظم ما كتب وكان يقول:

- أنا أكتب لأغير وليس الكتابة مهنة وإذا أحسست أن كتاباتي لن تغـــير فلماذا أكتب ؟

والمدهش أنه كان يقرأ في العلوم والاقتصاد أكثر مما يقـــرأ في الأدب والنقد، يقرأ في الفيزياء النووية والهندسة الوراثية هكذا أجابنا حين سألناه.

في مسرحيته الجهنمية الفرافير التي أخرجها المخرج المبدع الراحـــل كـــرم مطاوع وقام بدور فرفور الممثل الذي لم يكتشف جيدا الراحل عبد السلام محمد، يصرخ فرفور في وجه سيده:

- أنت سيدي ليه؟

يطرح إدريس بجرأة وطزاجه هذه العلاقة الأزلية بين العبد والـــسيد لمـــاذا يوجد أسياد وعبيد؟

ربما تمر علينا هذه القضية مرور الكرام لكنها لا تمر عليـــه دون أن يفندها ويحاول الوصول إلى جذورها ومنابتها.

تنتهي المسرحية بأن يدور الفرفور حول سيده في مدار دائري مثـــل دوران الأرض حول الشمس وكأنها قانون كوني، لكن إدريس يعترض على هذه العلاقة غير المشروعة وغير العادلة بين البشر.

ولا أنكر أنه من أكثر الكتاب الذين أثروا على أسلوبي في الـــتفكير بينما تأثرت بعميد الرواية الراحل نجيب محفوظ من حيث تقنيات الكتابـــة وهناك قول متداول:

نجيب محفوظ روائي وإن كتب القصة القصيرة.

ويوسف إدريس قاص وإن كتب الرواية.

وأظن وليس كل الظن إثم أنه مهما تعددت القـــراءات في إبـــداعات إدريس ومحفوظ فإن هناك قراءات جديدة في إبداعهما.

" في حضرة نجيب محفوظ "

في كتابه "في حضرة نجيب محفوظ" يكشف الكاتب الكبير محمد سلماوي عن خفايا عالم عميد الرواية العربية نجيب محفوظ ولا أبالغ إذا قلت إن هذا الكتاب من أهم وأشمل وأجمل الكتب التي صدرت عن الراحل العظيم، يشتمل الكتاب على أربعة أبواب هي بالترتيب: لقاءات معه، مقالات عنه، كلمات له، صور له.

ورغم أن عدد صفحات الكتاب تجاوزت ٤٠٠ صفحة، إلا أن القارئ لا يشعر بهذا الطول، فجمال السرد ورشاقة العبارة وتدفق المعلومات، كل ذلك يجعل القارئ يستمر بشوق في القراءة وكأنه يقرأ رواية متنامية الأحداث..الباب الأول يقدم لنا لأول مرة تفاصيل اللقاءات التي تمت بين محفوظ وبعض أكبر الشخصيات العالمية والعربية من الأدباء ورجال السياسة والشخصيات العامة من أمثال الأديب العالمي باولو

كويللو، وأديبة جنوب أفريقيا الفائزة بجائزة نوبل نادين جوورديمر، والمسرحي الأميركي الشهير آرثر ميللر.. وغيرهم، إضافة لرئيس وزراء أسبانيا، وأحمد زويل، ومحمد حسنين هيكل.. وغيرهم ممن سعوا جميعا ليكونوا "في حضرة نجيب محفوظ" نجح سلماوي في نقل القارئ للجلوس بين محفوظ وزائريه ليستمع للآراء والمناقشات التي دارت خلال الحوار.

أما الباب الثاني، فيضم بعض كتابات سلماوي عن نجيب محفوظ، وهي تدور حول بعض أهم القضايا التي ارتبطت بنجيب محفوظ وحياته وأعماله.

أما الباب الثالث، فيضم كلمات محفوظ نفسه في عدد من المناسبات الدولية التي اختار نجيب محفوظ فيها سلماوي ليكون نائبا عنه في حضورها، وفوضه في إلقاء كلمته فيها، ويتصدر هذا الباب حديث مهم حول حياته بين القراءة والكتابة.

والباب الرابع يضم بعض الصور النادرة لمحفوظ وإذا كان العنوان هو عتبة الكتاب الأولى فقد تحقق ذلك في حضرة نجيب محفوظ فالحضرة هنا تعني صاحب المكانة والحيثية كما أنها تعني الحضور ومن ثم فنحن أمام أحداث موثقة شاهدة على شخصية هذا الروائي العظيم الذي ولد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وقد أتم سلماوي كتابة في أكتوبر ٢٠١١ أي في مئوية نجيب محفوظ وذلك خير تكريم لأول من رسخ لفن الرواية العربية، وعلى

مدي ١٢ عاما وبالتحديد منذ محاولة الاغتيال في ١٩٩٤ وحتى وفاة نجيب محفوظ في ٢٠٠٦ كان هناك بشكل منتظم بينه وبين الكاتب المسرحي والروائي محمد سلماوي في منزله يوم السبت الساعة ٦ مساء ،لإجراء الحوار الأسبوعي الذي كان ينشر كل خميس بجريدة الأهرام بدلا من مقاله الأسبوعي، لكن العلاقة بين شيخ الرواية العربية وبين سلماوي بدأت منذ التحاقه بالأهرام عام ١٩٧١ حتى أصبح ممثله الشخصي في احتفالات نوبل ١٩٨٨، وأصبح بعد ذلك بمثابة وزير خارجيته "حسب تعبير نجيب محفوظ" وحلقة الوصل بينه وبين الكتاب العالمين والمؤسسات الأدبية المصرية والعربية والعالمية، وأظن أن هناك مجموعة من العوامل والإمكانيات والقدرات هي التي جعلت سلماوي مؤهلا للقيام بهذا الدور بداية: هو كاتب مسرحي وروائي ومبدع مقال من طراز رفيع، كما أنه يجمع بين الثقافات العربية والفرنسية والإنجليزية، وهو أيضا صحفي متميز في أعرق مؤسسة صحفية وهي الأهرام، وهو وكيل وزارة الثقافة لشئون العلاقات الثقافية الخارجية عام ١٩٨٨، وأخيرا وليس بأخير رئيس اتحاد كتاب مصر وأمين عام اتحاد الكتاب والأدباء العرب.

لم يقتصر الكتاب على ما يخص الراحل العظيم نجيب محفوظ، وإنما قدم لنا قراءة في حياة وأعمال كثير من أدباء فرنسا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا.



مذكرات المناضل عبد القادر حجار

الحب هنا هو حب الوطن والحبيبة، حب كل ذرة من أرض الجزائر التي ظلت في قبضة المحتل أكثر من ١٣٢ عاما، والمحتل هنا هو الاستعمار الفرنسي أبشع أنواع الاستعمار لأنه استيطاني بمعنى أنه كان يهدف إلى تغيير لغة وثقافة وحياة دولة بأكملها فكان لابد من الكفاح والنضال والثورة من أجل زلزلة أركان هذا المستعمر.

و لم يكن ذلك ليتم إلا بهؤلاء الأبطال من أبناء الجزائر الباسلة والمناضل عبد القادر حجار صاحب هذه المذكرات واحد من هؤلاء الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل استقلال وطنهم، فكان السجن والأشغال الشاقة والإعدام تنتظرهم ونستطيع أن نتعرف على كل هذه التفاصيل من هذا الكتاب الشيق "الحب والحرب بين الذكرى والذاكرة"

شهادة أسير خلال ثورة التحرير – مذكرات المناضل عبد القادر حجار. وقد صدر الكتاب عن صالون غازي الثقافي العربيبالقاهرة عام ٢٠٠٧ وغالبا ما تكون مذكرات المناضلين بعيدة عن مفهوم الكتابة الأدبية بحكم من يكتبوها فهو ليسوا أدباء ولكنهم مقاتلون وثوريون، لكن هذه المذكرات أستطيع أن أقول بكل أمانة هي للأديب عبد القادر حجاز .بمفهوم النص والأسلوب والمعالجة واللغة الجميلة السلسة وعمق التحليل وبراعة الاستهلال والقدرة على الإبانة والوضوح ومن ثم جمعت بين المتعة والفائدة كما يحدث في أي نص أدبي شعرا كان أم نثرا.

الدراما هي التجسيد الفعلي لفكرة الصراع بكل مستوياته داخل النفس وخارجها ويبدأ الصراع هنا عند المناضل عبد القادر حجاز منذ أن رأى الظلم بعينيه متجسدا في الثري كبير قريته الذي تملك أرض أهله بأبخس الأثمان وتملك رقابهم بالفتات من الخبز وحول الكثير من عشيرة الفتى إلى رعاة لقطعانه وساسة لخيوله وبغاله.

وزاد هذا الشعور بالظلم لما وجد كل القرى وكل المدن وكل الأرياف فيها تلك الفروق بين البشر بهذا الشكل الفاضح، عندئذ أدرك أن قريته نموذج مصغر لما هو أشد وأكبر وفي تلك اللحظة توجه بأسلوب المخاطبة لصديقه فيقول:

– أيا صديقي يا عمر: ها قد ساءت الأحوال بالناس وبلغت منهم القلوب والحناجر واختفت الأنفاس وازداد البطش بالشعب واشتد القهر وزلـــزت الأرض زلزالها بالجميع كأنه المحشر.

– هكذا كانت بداية الصراع وبداية الدراما ولكن هل تبدأ الـــدراما دون رفقة القلب ومهجته ونور العقل وبصيرته وهنا يتذكر:

– يا صورتها ما أروعها حية وما اقسي ذاكرها ميتة، رحلة نهائية أن تعود بعدها إلينا! ومع ذلك عاد ذكرها، واستعاد ذكراها... يا كلمة ما أقساها يتلجلج بها صعب عليه ما أشد أن يجلجل بها لسانه.

أو تموتينأو تموتين قالها : يا ابنة خير خال وخير قريب!

هذا عهد الوفاء بين مناضلها وحبيبته الراحلة التي فقدها أثناء مشواره النضالي.

يذكرنا بقول الشاعر:

يفنى الزمان ولا أخون عهـــدك   أبدا ولـــو قاسيت كـــل الهـــــوان

صبوت إليك كم برق ســـرى   أو ناح طير الأيـــك في الأغـــصان

فقد الحبيبة مع الصراع ضد الظلم يجعل الدراما في قمة عنفوانها ، ومـــن الطبيعي أن يكون المناضل عبد القادرحجار ضمن الذين ألقي القبض عليهم وأودعوا في السجن وهنا يستخدم الكاتب ضمير الغائب وهو يحكي عـــن نفسه وهذه تقنية فنية من تقنيات السرد فيقول:

"وما إن وصل السجن، هو وأربعة من رفاقه حتى وجدوا بفناء السجن كوكبة من زبانية غلاظ شـداد مـستنفرة بقيـادة ضـابطهم الـشهير الملازم"كاستيو" هذا الاسم اللعين الذي ظل سيفا مشهرا وسوطا مـسلطا على سجناء وهران "

لقد تعرض هذا المجاهد هو ومن معه من المجاهـدين لأبـشع أنـواع التعذيب ومع ذلك لم تلن لهم قناة و لم يستسلموا أو يرضـخوا لمطالـب الفرنسيين، حتى إن أحكام الإعدام كانت تنفذ أمام أعينهم لتخور قـواهم وتنهزم معنوياتهم فما وهنوا ولا ضعفوا ولا استكانوا، إنها ملحمـة مـن ملاحم النضال الكبرى أراد الكاتب أن نقترب منها بل أدخلنا في تفاصيلها من خلال أسلوب قصصي متميز وبينه سردية قادرة على الاحتواء، احتواء ما حدث له واحتواء القارئ حتى يتعرف على هـذه الأحـداث، ومـن ثمأصبحت تشكل مرجعا مناسبا لمادة فيلمية عن كفاح واستقلال الجزائـر الذي يحتاج لمثل هذه الأفلام والأعمال الدرامية، لتعريف الشباب العـربي بهذه الملحمة الخالدة والتي قال الشاعر والمناضل الجزائري فيها:

وهو الشاعر مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائريـة
يـا فرنـسا قـد مـضى وقـت العتـاب
وطوينـاه كمـا يطـوي الكتـاب
يـا فرنـسا أن ذا يـوم الحـساب

فاســـــتعدي وخـــــذي منـــــا الجـــــواب
إن في ثورتنـــــــا فـــــــصل الخطـــــــاب
وعقـــــــدنا العـــــزم، تحيـــــا الجزائـــــــر
فاشـــــــهدوا... فاشـــــــهدوا... فاشـــــــهدوا

وهذه قالها في حق الشهيد البطل الملقب بـ"الذبيح الصاعد" الـــذي يسير إلى حبل مشنقته:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان، يتلو النشيد باســـم الثغـــر، كالملائك، أو كالطفل، يستقبل الصباح الجديدا شامخا أنفه، جلالا وتيهـــا رافعا رأسه، يناجي الخلودا رافلا في خلاخل، زعردت تملأ من لحنها الفضاء البعيدا!! حالما، كالكليم، كلمة المجد، فشد الحبال يبغي الصعودا وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاما، يشع في الكونعيدا وامتطى مذبح البطولـــة معراجا، ووافى السماء يرجو المزيدا وتعالى، مثل المؤذن، يتلو.. كلمـــات الهدى، ويدعو الرقودا صرخة، ترجف العوالم منها.. ونداء مـــضى يهـــز الوجودا.

لقد بدأ المناضل عبد القادر حجار الجهاد وهو في ريعان شبابه أو بمعنى آخر بدأ شبابه بالجهاد ضد الاستعمار الفرنسي حتى أنه أفلت من حكـــم الإعدام، لأن بعض الأفعال المنسوبة إليه تمت قبل سن الأشغال الشاقة بدل

الإعدام وهنا لا ينسى المناضل الكبير فضل هيئة التحرير التي ينتمي إليهـــا فيقول:

"كانت جبهة التحرير جانية على أبنائها في السجون وكانت تتـــابع أخبارهم من خلال المحامين المدافعين عن المناضلين من ذوي التهم الكبيرة".

وكما قال أبو القاسم الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر.

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر.

لقد جاء هذا اليوم وانجلى الليل وانكسر القيد وكما يقول مناضـــلك الكبير أسعد به يا أخي من يوم بعد قرن وربع من الاستعمار!

أسعد بها من لحظات أروع ما في العمر.

وأعظم ما في الحياة وأبهى ما في الوجود.

ومن خلال قراءة المذكرات نرى قيما جمالية متعـــددة بالإضـــافة إلى قيمتها المعرفية ومن هذه الجماليات جمال اللغة وعذوبتها التي تقترب أحيانا من لغة الشعر ففي صفحة ١٢٧ على سبيل المثال وليس الحصر:

"رباه! سهل من النفوس أن تتحمل شراسة العدو على قساوتها لكن صعب عليها أن تتحمل خيانة الرفاق على الطريق سهل علـــى الفـــرد أن ينكسر وينهزم ومحال على شعب قدم كل هذه الدماء الذواكي وكل هذه

المهج الحري قربانا على طريق حريته واستقلاله أن يخيب رجـــاؤه فيـــك ويستسلم".

لقد تفجرت الدراما في هذه المذكرات من خلال علاقة المناضل بحبيبته ووطنه ورفقاء الكفاح معا ضد الاستعمار الفرنسي.

إنها دراما الحب والتضحية والثورة.



مؤرخ في ثياب شاعر

قراءة في أعمال وحياة عبدالرحمن بعكر

تعددية الاهتمامات وتنوع الاتجاهات وموسوعية الثقافة سمة هذا الشاعر الذي صاغ الشعر وكتب النقد وألف السيرة ودون التاريخ، ومن ثم يصبح تناول شخصية عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي مغامرة محفوفة بالمخاطر.

إن الإلمام بهذه الشخصيات الثرية من كافة جوانبها يتطلب كتابا ضخما وليس دراسة أو قراءة نقدية إذا كانت ملكة الإبداع تميل إلى التركيب والتكوين أو ما يسمي بالتجميع فإن ملكة النقد تختص بالتفكيك من أجل الوصول إلى رؤية تضيء الإبداع شعرا كان أو نثرا.. فماذا يفعل صاحب الملكتين!

إن شاعرنا من الذين امتلكوا الناصيتين الإبداع والنقد وهذا ما يبرهن عليه محصوله الأدبي الوفير في مجال الدراسات النقدية وكتابة السير

الحياتية كما اتكأعلى التاريخ في رحلته الحياتية والإبداعية، لقد قدم شاعرنا إلى المكتبة العربية عشرات المؤلفات والدراسات والبحوث التراجمية والتاريخية والأدبية التي منها "كواكب يمنية في سماء الإسلام، مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير، شيخ الإسلام الشوكاني، المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيري، الأستاذ أحمد محمد نعمان، وترجمة بحثية للمفكر العربي مالك بن نبي، نظرات في التاريخ اليمني العام في مجال التاريخ".

أما في مجال الأدب والنقد والشعر كيف غنت تهامة، أجراس "ديوان"، سجادة الخضر"ديوان"، بنفسجيات "ديوان"، وفاء "ديوان" وعناقيد في الأدب والفن، جمرات نثرية، وحسم الموهبة"سيرة ونقد عن عبدالله البردوني"، أشذاء من الأدب اليمني، شاعر التوحيد والعدل والجمال عبدالرحمن الأنسي، كما حقق عددا من دواوين والشعر لقامات أدبية يمنية طمرتها الأزمان والظروف كـ"الأنموذج الفائق للقاضي عبد الرحمن الأنسي، وديوان أبي بكر الحكاك، وديوان الفقيه أبي بكر المهير، وتحقيق ديوان الولي الشيخ حاتم بن أحمد الأهدل، فضلا عن "نعمة البيان، العربية أنموذجا،وصاحبة الجلالة اللغة العربية"، وقد أشار الشاعر السفير الدكتور عبد الولي الشميري إلى تكوين شاعرنا الثقافي ومنطقه الإبداعي ومنحاه الفكري.

وذلك في صدر مقدمته لديوان "أجراس" حين قال:

ما أندر وأقل الأقلام العربية حرفا.. الإسلامية ولاء، وأندر من ذلــك أن تجد من يجمع بين الموهبة الخصبة والثقافة الواسعة.

والهدف النبيل، وقد أجدبت الساحة الأدبية من هذا النوع تماما إلا من أعلام يعدون بالأصابع، ولقد كنت أرمق بإعجاب كبير وإحساس مرهف كل حرف خطه قلم أدبائنا الكبار مثل الأميري، العظـــم، ومـــن علـــى شاكلتهم، وفي هذه الدراسة الموجزة نحاول أن نقف على أهم الملامح الفنية والفكرية التي تميز شاعرنا والتعرف على أسلوبه في كتابة الـــسيرة الذاتيـــة والتاريخ، كما نحاول استبصار منهجه النقدي وتعيين أهم ملامحه، ومـــن الضروري لاكتمال إطار الصورة التي نبتغيها أن نذكر موجزا عن حياته.

ولد الفقيد الراحل الكبير عبد الرحمن بن الطيب بن على بعكر بـــن محمد عبد الفتاح الحضرمي في عـــام ١٩٤٣ م الموافـــق للعـــام الهجـــري ١٣٦٤هـــ في مدينة حيس التاريخية – أقدم مدن تهامة – التي تلقى تعليمه الأولي فيها على يد عدد من مشايخ الأدب والفقه وعلـــوم القـــرآن وفي مقدمتهم والده القاضي الطيب بكر، والأستاذ العلامة محسن محمد القليصي والفقيه طالب عطا رحمهما الله، كما تلقى تعليمه النظامي أيضا في المدرسة الأحمدية بحيس على يد المرحوم أحمد قاسم دهمش، منتقلا بعدها إلى (زبيد) لينهل من مساجدها العلم والفقه فدرس فيهما على يد الـــشاعر الأديـــب الراحل عبدالله عطية.

هاجر بعدها إلى صنعاء ملتحقا بالمدرسة الثانوية، متنقلا بين حلق جامعها الكبير دارسا على يد عدد من المشايخ مثل الشيخ القاضي أحمد بن قاسم العنسي، والقاضي على بن محمد يسر الآنسي.

عاد إلى"حيس" مجازا في عدد من فنون الأدب والفقه التي تلقاها منذ صغره، ليباشر التعليم لإفادة أهل منطقته، فقد ساهم في استحداث عدد من المشاريع التربوية والخدمية من خلال نشاطه كواحد من رموز التنوير في منطقته وموقعه التنفيذي.

أصدر شاعرنا مجموعة من الدواوين الشعرية أهمها، أجراس، سجادة الخضر، بنفسجيات، وفاء، مع صلاح الدين، وفي ديوان أجراس كتب الشعر العمودي محافظا على كل عناصره من وزن وقافية وقاموس عربي رصين.

يقول الشاعر عن ديوان أجراس "مجموعة قصائد انتقيتها من شعري الإيقاظي مرجئا سائر الأغراض الأخرى".

معني ذلك أن معظم القصائد ارتبطت بمناسبات محددة أو أغراض بعينها، في أول قصيدة وهي التي أخذت العنوان الآتي:

"المنقذ الأعظم محمد صلي الله عليه وسلم " يقول الشاعر:

كتابك أي فرقان تجلى

فشع النور وابتسم السناء

تفجـــــر صـــــوبه رشــــدا وســــعدا
فـــــــأرواح التقـــــــاة بـــــــه رواء
وقـــــص حقـــــائق الـــــدارين حــــتى
أحـــــاط بهـــــا فمـــــا فيهـــــا خفـــــاء

ألا تذكرنا هذه القصيدة بهمزية أحمد شوقي في مدح الرسول؟

ولد الهدى فالكائنـــات ضـــياء — وفـــم الزمـــان تبـــسم وثنـــاء
الروح والملأ الملائــك حولــه — للـــدين والـــدنيا بـــه بـــشراء
والعيش يزهو، والحظيرة تزدهي — والمنتـــهى والـــسدرة العـــصماء
والوحي يقطر سلسلا من سلسل — واللـــوح والقلـــم البـــديع رواء
يا خير من جاء الوجـــود تحيـــة — من مرسلين إلى الهدى بك جاوا

ومع أوجه الجمال الكثيرة في قصيدة شاعرنا إلا أن تأثره بشوقي واضـــح وكبير، وهذا لا يقلل من قيمة الشاعر، بل إن التأثير والتأثر يشكلان خطين متقاطعين في إبداع الكتاب والشعراء، فالأسد مجموعة شـــياه مهـــضومة، والنصوص الأدبية تتوالد من بعضها، لكن القضية تظل دائما مهما تشابهت الألفاظ وتماثلت الأغراض قضية معالجة وصياغة، وهذا ما فعلـــه شـــاعرنا بعكر، فقد أبدع قصيدة جديدة رغم تأثره بشوقي، وكان أديب العربيـــة الجاحظ أول من أثار هذه القضية، "المعاني مطروحة في الطريـــق يعرفهـــا

العجمي والعربي، والبدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الـــوزن، وتخـــير اللفظ، وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك".

وتبعه على هذا الرأي أبو هلال العسكري، "الكلام – أيـــدك الله – يحسن بسلاسته وسهولته، ونصاعته، وتخير ألفاظه، وإصابة معناه وجـــودة مطالعه، وليس مقاطعه، واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه، وتشابه بواديـــه، وموافقة أخيره فبادية، حتى لا يكون في الألفاظ أثر فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطلعه، وجودة مقطعه، وحسن رصفه المنظوم وتأليفه، وكمـــال صوغه. "وتركيبه، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا، وبالتحفظ خليقا".

وفي ديوانه "سجادة الخضر" الذي صدر عن منتدى المثقف العربي في القاهرة، وكتب مقدمته الشاعر السفير الدكتور عبد الولي الشميري، يقول د. الشميري: "استوحيت من دلالة العنوان "سجادة الخضر" أن صـــديقي الشاعر عبد الرحمن طيب قد انضم بديوانه هذا إلى ركب الشعر التصوفي، وأنه قد فرش سجادته إلى جانب الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم. رغم أني نشأت في رحاب شعر التصوف إلى درجة العشق إلا أن بضاعتي في النقد مزجاة، فقررت أن أكتب عن الديوان بعد أن قرأت كـــل مـــا وصلت إليه يداي من نقد هذا الغرض الشعري الرقيق، مستجليا إشـــارات المتصوفة ورموزهم، حتى تكشفت أمامي محاريب قصائد المتصوفة ورحت

أتمتم ببعض أبيات كنت قد حفظتها، وتجلت أمامي معان أخرى.. وعنـــد ذلك فقط قررت أن أدخل الديوان لأعرف ما الذي نقشه صديقي بعكـــر على "سجادة الخضر".. فكانت المفاجأة..إن سجادة الخضر عند صـــديقي بعكر ليست سوى بساط سندسي أخضر فرشه نيسان – شهر الخـــصب والعطاء – من حوله وفرشه خياله الجامح في شاعريته فأنبت دوحة شعرية ذات واحد وأربعين فرعا، ولكل فرع منها حظه من الثمار ومن الزهـــور والحديث عن جمال الطبيعة في شعرنا العربي تقليدي عتيـــق، ترســـم فيـــه المعاصرون خطى الأسبقين إلا قليل منهم ممن أفاء الله عليهم بالقدرة علـــى قراءة هذا الجمال بعين جديدة بعيدا عن نظرات البحتري وابـــن خفاجـــة الأندلسي وغيرهم من عشاق الطبيعة الأقدمين.

فهل قرأ شاعرنا بعكر الطبيعة بعين جديدة، يمكن أن نعرف ذلك بعد قراءة إحدى قصائد الديوان، قصيدة "تهامة والخريف".

قمـــــــــر الربيـــــــــع الأول
والــــــريح هامـــــسة الحلــــــى
تمـــــــضي بخفـــــــة جــــــدول
وتــــــــــدور كــــــــــالمتجول
أنـــــا تهـــــب مـــــن الجنـــــوب
وأنــــــــة مــــــــن شمــــــــال

وعلــــى حواشــــها نــــوا

فـــــح زعتـــــر وقرنفـــــل

وبطيهـــــا شـــــجن يلـــــوب

علـــــى القلـــــوب ليبتلـــــي

الله مـــــن ريـــــح الخريـــــف

وفعلـــــــــها بالمقتـــــــــل

هـــــي في الـــــصباح إذا تهـــــب

بـــــشير غيـــــث مقبـــــل

ويبدو أن شاعرنا يماهي بين المرأة والطبيعة كما يقول د. الشميري، فالطبيعة ساعة حنونة وساعة مجنونة، مرة دافئة، ومرة مفترسة كاسرة، أحيانا شمالية، وأحيانا جنوبية، والريح هامسة الحلى، جمع الشاعر في هذه الصورة بـين القسوة والجمال إنه التعامل الرومانسي مع الطبيعة يتسم برهافـة الحـس، يقول الدكتور جودت الركابي إن شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة وبعض ما اشتملت عليه في جو طبيعي يزيده جمالا خيال الشاعر، وتمثل فيه نفسه المرهفة وحبه لها واستغراقه بمفاتنها.

ويقرر الركابي أن "شعر الطبيعية" تعبير جديد في أدبنا جاءنـا مـن الآداب الغربية.. وكان من أهم مظاهر الحركة الإبداعيـة الرومانـسيه في أواخر القرن الثامن عشر، والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفيه،

يحبونها لما تمنحه من جمال لحسهم وهدوء لنفوسهم فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة ويبوحون إليها بعواطفها آلامهم.

الناقد

جمع شاعرنا بين الملكة الإبداعية والملكة النقدية، ومن أهم كتبه النقدية" عناقيد أدب وفن – شاعر التوحيد والعدل والجمال عبدالرحمن بن يحيى الأنسي – كيف غنت تهامة – أشذاء من الأدب اليمني –حسم الموهبة" امتلك شاعرنا مؤهلات الناقد من قدرة على التحليل والمقارنة والتأويل مع تميزه في قراءة النصوص قراءة جديدة وربط كل ذلك في إطار نقدي يتسم بلغة رائقة وفاحصة وكاشفة، كما إن إلمام شاعرنا وتبحره في قراءة التراث العربي أعطاه خصوصية في تذوق النصوص، في كتابه حسم الموهبة والذي تناول فيه إبداعات مجموعة من الشعراء منهم الشاعر اليمني العربي الكبير البردوني، الشاعر عبدالله محمد يحيى عطية، والشاعر عبدالله عبدالوهاب نعمان والشاعر الدكتور عبدالعزيز المقالح، وشاعر الجمال والثورة سهيل اليماني إنه يحدد المعايير الشعرية من حيث قناعاته كناقد أدبي فيقول: أجدني مشدودا إلى الإفضاء بثلاث قناعات في ملكوت الموهبة الشعرية، صار لها عندي ثبات الحقائق: ص ٩

أولاهن: ما اسميه بـــ "ما فوق الموهبة" : وهو يعني المكونات الفنية المستورة في حنايا وسراديب الذات، المبدعة بعناية خاصة من الخالق الحكيم

سبحانه، وذلك واضح في الكثير من جنبات الحياة وعوالم الأحياء، بل هو قانون كوني مثبوت الآيات والعطاءات في كل المخلوقات، فإذا كنا نعمل مثلا اتحاد المكونات الخلقية للإنسان في الوجه، فإنك تلحظ رغم هذا الاتحاد الخلقي تفاوتا متنوعا من حيث القسمات والملامح، ذلك على مستوي سطح الوجه، فإذا ذهبنا إلى الداخل منه، وجدنا تنوعا متفاوتا في الجهاز الصوتي من فرد إلى آخر، فإذا ذهبنا في الداخل إلى منطقة أبعد هي منطقة الذائقة في المشمومات والمسموعات، اذهلنا اطراد ذلك التنوع المتفاوت، حتى إنك لا تعثر على اتساق شخصية بشخصية فيما أسلفناه، ذات التنوع المتفاوت تلحظه في عالم المغردات من الطير، ولذلك قالوا:

الصوت موهبة السماء

وفي فصيلة العاسلات، ما أبعد الفارق بين ما تفرزه النحلة وما تتقيأه الزنابير، وكذلك في فضيلة الناسجات، ما أشد التباين بين ما تفرزه دودة "القز" من مجاج يصبح حريرا، وبينما تفرزه "العنكبوت" من خيوط"وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت" كذلك الأمر في الشعر، فإن الخلاق اللطيف سبحانه الذي جعل في الأرض بقاعا متجاورة تسقى من ماء واحد، ولكنها تتفاضل في الثمرة، هو الذي منح أفرادا من الشعراء سابغة عالية، تكمل موهبة، وتضفي عليها فرادة متفوقة غير ملحوقة.

هذه هي منطلقات الناقد بعكر، و لم يخل نقده التطبيقي من الأخذ بهذه المعايير وهذا ما جعله يضع الشاعر العربي الكبير البردوني تحت عنوان التلقائية الفاتنة وسوف نتعرف على النقد التطبيقي لناقدنا بعكر من خلال استعراض بعض النماذج لبعض الشعراء ونبدأ بنقده للبردوني في ديوانه "السفر إلى الأيام الخضر" حيث يقول: ندخل الآن ديوانه الخامس "السفر إلى الأيام الخضر".

ومن وثباته الخيالية الرائعة، هذان البيتان في مطلع قصيدته "يادها":

مثلما يبتدئ البيت المقفى رحلة غيمية تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنى سحرا أرعش عينيه وأغفى

ولا أعرف نصا شعريا موفقا في رسم ضبابية أوضاعنا أول السبعينات كهذا النص"البردوني" الكاشف.

ذلك أنه باختلاط التيارات، وتدخل الملامح، وتزاحم الشعارات.

لم يعد اليمني يومها يدري أهو في جمهورية أم في ملكية؟ ذلك أن الوهج السبتمبري أخذ يتضاءل ويتثاءب حتى غاب عن الأنظار.

والقصيدة من مواليد فبراير سنة ١٩٧٤ م، فمات المغني ومات الغناء وأوضحت أغانيه ركام خشب وما أذكى تساؤلاتها في المطلع وفي الختام:

لماذا العدو القصي اقترب ؟ لأن القريب الحبيب اغترب

وفي النهاية يقول:

لمـــاذا المغـــني أحـــب كـــثيرا كثيرا ولم يـــدر مـــاذا أحـــب؟

وناقدنا لا يجامل ولا يحابي لأن المجاملة تفسد الرأي والمحابات تسلب الناقد موضوعيته ونحن في حياتنا الثقافية العربية في حاجة إلى الحيدة والنزاهة حتى لا نقزم عملاقا ولا نعملق قزما، وهذا ما يبدو جليا عندما بعكر الـــبردوني حيث يقول: وها نحن ندخل ديوانه السادس"وجوه دخانية في مرايا الليل". وما أبشعها من وجوه، وما أفظعها من مرايا، وقديما قالوا فأصابوا: "مـــن عنوانه يقرأ الكتاب" ونبدأ بالقصيدة الأولى"ص ٤٤٩" ونصطدم بمطلعها:

كان رأسي في يدي مثل اللفافة وأنا أمشي كباعات الـــصحافة

المعنى كما تراه شبه مفقود.

إنه لا يفيد شيئا، وفوق هذه المصيبة المضمونية مصيبة أخرى لغويـــة "باعات" والصحيح مراعاة للوزن "بباعي" ونلاحظ هنا قسوة الناقد المحب للمبدع وهذا ما يظهر في قول بعكر: والمولى سبحانه يعلم أني ما ألزمـــت نفسي العودة إلى رياض (البردوني) الشعرية، إلا لأمتـــع نفـــسي وغـــيري بتلقائيتة الفاتنة، حين تنمهر غمامات الشعر من فمه، وتتزنبق المعاني بقيثارته وفي كتابه "أشذاء من الأدب اليمني" يعالج مجموعة من القـــضايا النقديـــة أهمها، أفاق الأدب الإسلامي وحدوده، النص يحدد هوية نفـــسه، الأدب

الملتزم، العمل الأدبي الناجح، "رجاء النقاش"عافية النقد" في هذه الموضوعات، يمارس ناقدنا بعكر دوره في التنظير الأدبي ويبدأ بأول قضية نقدية وهي مفهوم الأدب الإسلامي وهو يلخص ذلك في مجموعة من الكلمات الطهر، الله، الحق، الناس، الجمال، الطبيعية، فحيث وجد ذلك فثم الأدب الإسلامي الذي هو في صميم أدب الإنسانية الحقة ذلك أن الإسلام هو دين البشرية الأول والأخير.

أما أدواته فالشعر أشكاله ما دامت مضامينه نابضة بدم الحقيقة مستبصرة بشمس الهدى والإيمان وحب الإنسان، والنثر بكل ألوانه من خطابة أو مقالة أومقامة أو رواية أو قصة أو أقصوصة أو مسرحية ورغم وجاهة الفكرة وتكامل التنظير.

ومن وجهة نظر أفضل أن ينسب الأدب إلى لغته فتقول الأدب الفرنسي، الأدب الإنكليزي، الأدب الأسباني، من ثم تكون تسمية أدبنا بالأدب العربي أقرب إلى الصواب ، وإلا سوف نسمع عن أدب يهودي وأدب مسيحي وأدب بوذي، ثم يتحدث ناقدنا بعكر عن كتاب الناقد الكبير رجاء النقاش "ثلاثون عاما مع الشعر والشعراء": فيقول: ظهر هذا الكتاب مقدما عطاء نقديا متميزا بالموضوعية والرحابة ومباركا الإجادة دون التفات إلى الموقف الأيدلوجي أو اكتراث بالشكل الشعري، وإنما يحرص أكثر ما يحرص على توفر المقومات الثلاثة لأى عمل إبداعي:

١- الفنية المقدورة بالعطاء.

٢- صدق التوصيل بالعطاء.

٣- سلامة الأساسيات المكونة لكينونة الأمة وضميرها ووجدانها فكان لي وأنا الذي أنتظر مثل هذا العطاء الفريد النضيد أن أعتبر رجاء النقاش عافية للنقد العربي من هذه الحقبة المكتظة بدخان التلوث من أكثر من بؤرة وأكثر من وجهة.

ومن خلال الاشتباك النقدي مع الكتاب نكشف مدى حرص ناقدنا بعكر على كل ما هو رصين، فهو ملتزم بعمود الشعر وزنا وقافية، مدافع عن التراث العربي الأصيل، رافض التيارات الثقافية التي يعتقد من وجهة نظره أنها مريبة.

وتتبلور تلك القناعات الجمالية والمعرفية من خلال كتابه "شاعر التوحيد والعدل والجمال" عبد الرحمن بن يحيى الأنسي.

يقول أي كونغ شاعر الصين الكبير: إن الشعر هو فن التفكير بالصورة، ونرى ناقدنا الحضرمي يؤكد ذلك فيقول:

أصبح من بديهات الفن الشعري، أن الصورة الشعرية هي ذروته الفنية، وخالدته الإبداعية، ولصاحبنا هنا واديان يصدران عن نهر واحد هما: التصوير الساحر والتشخيص.

هذا النهر المقدرة التصويرية الدافقة بمختلف مواضيعها ومعطياتها.

وكثيرا ما نرى تصويره الساخر والتشخيص منصبا أو بارزا في حالـــة الانتقام من الظلمة والعصاة، فهل يعود ذلك إلى قسوة في الطبع، كم حلا للبعض اقامه به، وإطلاقه عليه والانصاف يقتضينا التنبيه على أبرز صفات الرجل وسماته النفسية والأخلاقية.

كما قرأناها في "الأنموذج"، فقد كان كثير العطف على الـــضعيف، والهوادة مع الجاهل المغرر به والمخدوع، قدر ما كان حاد المزاج، شـــديد الرغبة في الانتقام من الظلمة المستكبرين، والغشمة المتعجرفين ونـــستخلص من ذلك أن ناقدنا متمكن في نقد الشعر والشعراء فهو المحيط الذي يجيـــد السباحة فيه بمهارة واقتدار، كما أنه واع بعناصر التفوق الشعري وخاصة الصورة الفنية ومن ثم يختار من الأبيات للشاعر الآنسي ما يـــبرهن علـــى المقدرة التصويرية للشاعر مثل:

معـــشوقة الحركـــات مـــن	ظـــرف تـــسيل بـــه وتنـــدى
وقعـــــت منـــــها كلمـــــا	أخفـــي تمنيهـــــا وأبـــــدى

ناقدنا بعكر الحضرمي يربط بين الشعر والشاعر، بين النص وكاتبه ومن ثم لا يؤمن بنظرية موت المؤلف وأعتقد أن المنهج التكاملي في النقـــد عـــاد ليعترف بتلك العلاقة بين المبدع وإبداعه، هو ناقد يمتلك أدواته من منـــهج ولغة وقدرة على إضاءة النصوص الشعرية من الداخل.

المؤرخ

امتاز المؤرخ بعكر الحضرمي بمنهجه ورؤيته ودقتـــه وعمـــق تجربتـــه وخبراته .. كان مؤرخا من طراز نادر، وهو قوي الحجة له أسلوبه الشيق وقدرته على الإقناع ومن أهم كتبه "نظرات في التاريخ العـــام للـــيمن"، و"ملامح اليمن والضمادات المطلوبة"، وفي كتابه "نظرات في تاريخ اليمن" اعتمد بعكر على القرآن خاصة فيما قبل مجيء الإسلام لأن القرآن أولى هذا الشعب من العناية أكثر من غير لأنه الشعب الأوحد في شبه الجزيرة العربية الذي كان له نبأ عظيم قص القرأن أدوارا منه، كما اعتمد الكاتب علـــى الكتابات الحديثة والمستنبطة من محصلات النقوش والآثار المترجمة والمضيئة وقد بدأ الكاتب بتعريف الجمهورية اليمينة، ثم وقفة عند الأساســـيات ثم كلمة عن عاد وثمود ثم عن الأنبياء من لدن هود ومن بعده من أنبياء اليمن ثم عن معين ثم كلمة عن سبأ وحمير ثم الملوك التحوليين طوال العهد السبئي والحميري ثم عن الأحباش، وركز الكاتب على اليمن في العهد الإســـلامي وحتى ومنا هذا.

وقد راعى بعكر كمؤرخ التسلسل التاريخي وتوخى الحقائق التاريخية وما يدل عليها، كما اعتمد الكتاب في بعض فصوله على السرد التـــاريخي وجاءت بعض الأحداث أقرب إلى السرد القصصي، وهذا ما جعله ممتعـــا

للقارئ، وأظن أن السبب هو أن الكاتب المؤرخ هو أديب بالدرجة الأولى، و لم يغفل المؤرخ ما تعرض له اليمن عبر تاريخه من انتصارات وانكسارات. أما كتابه ملامح اليمن والضمادات المطلوبة فهو سياحة تاريخية وفكرية من خلال سياق أقرب إلى الأدب، كما ألقى الكاتب فيه الضوء على بعض الشخصيات التاريخية وهو حين يتحدث عن آل المهلب يقول:

هذا القائد الخالد هو وآله في ذاكرة الزمن، كان قاهر الخواري وأمير خراسان الذي أخلصها للإسلام ثم يعود الكاتب للشعر مرة ثانية ويورد ما قاله أحد الأحفاد المهلبين أيام العباسيين في قائد مهلبي:

أبت إلا بكاء وانتحابا ... وذكرا للمغيرة واكتئابا

ألم تعلم بأن القتل ورد ... لنا كالماء حين صفا وطابا

كما تحدث المؤرخ عن مظاهر الحياة الحديثة بما فيها من إيجابيات وسلبيات كاشفا عن أسباب الظواهر ومحللا للدوافع والأسباب ومن ثم جاء الكتاب مشوقا ومثمرا.

كاتب السيرة

كتابة السيرة هو منهج جديد ظهر بقوة في القرن العشرين بعد أن كان مقتصرا إبان القرن التاسع وما قبله على الرحالة وغيرهم، ومن الثابت أيضا بهذا المجال الإشارة إلى أن العديد من الكتب التي ظهرت إلى الوجود عن السيرة كان قد دونها كتاب آخرون، ولعل أصعب كتابات السيرة هي تلك

التي لم يلتق كاتب السيرة مع الشخص المكتوب عنه بسبب موت ذي السيرة أي أن جمع المعلومات عن المتوفى بشكل محيط كانت النبراس لاستكمال ظهور سيرة لمتوف ما، وذلك ضمن عملية إبداع كتابة السيرة للآخرين، وهو نوع متداول في الوسطين الفكري والثقافي وتختلف السيرة الذاتية عن السيرة في أكثر من وجه، فموضوع السيرة الذاتية وكاتبها لا يزال على قيد الحياة يظل مطروحا، في حين يحسم كاتب السيرة في موضوعه ويقول الكلمة الفصل.

كما تتسم كتابة السيرة بترعة تاريخية لا تخلو من موضوعية، لأن المواد التي يستعملها كاتب السيرة، شأنها شأن المواد التي يستعملها المؤرخ، منفصلة عن الذات الكاتبة، في حين يمنح كاتب السيرة الذاتية من ينبوعه الذاتي، والشخص المتمثل في ذكرياته الخاصة، فتجيء الكتابة مغرقة في "الأنا" سابحة في الذات وليس هناك معيار موضوعي للنظر في مصداقيتها وصحتها، وذلك لاختلاف الغاية وقد كتب بعكر في السيرة الذاتية معتمدا على المزج بين التاريخ وصاحب السيرة والأدب، ومن هذه الكتب، الرجل الذي أحبه الحرم والهرم عن بطل الجمهورية / عبدالله بن حسين الأحمر، ثمانون عاما من حياة النعمان، مصلح اليمن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، كتابه " ثمانون عاما من حياة النعمان"يتساءل الكاتب لماذا النعمان؟

وتجيء الإجابة كالآتي: لأن النعمان هو أطول جسور المسار مكانيـــا وزمنيا، أما مكانيا فلأنه صاحب بصمات فاعلة وباقية في حياة الـــشطرين جنوبا وشمالا، وأما زمنيا فلأنه حمل الراية قبل الزبير بما يقارب العقد وعاش بعد استشهاده بما يقارب الثلاثة عقود ولا يزال كاتب السيرة هنا يختـــار ويعلل الاختيار ثم يدلل على ذلك، ولكن إن كانت توجد مأخذ في كتابته للسيرة فأنها تكمن في ذكر نقاط القوة في الشخـــصية موضـــوع الـــسيرة وتهميش نقاط الضعف، ونحن نعلم أنه لا توجد شخصية دون وجود نقاط ضعف، لأن عدم ذكر نقاط الضعف في الشخصية يـــؤدي إلى المبالغـــة في تعظيم الشخصية، أما عدا ذلك فإن كاتبنا بعكر حـــريص علـــى جمـــع معلومات كافية لكتابة السيرة، ولديه قدرة فائقة على ترتيب الأفكـــار، ثم قدرته الفائقة في وضع كل ذلك داخل نسيج فني فهو يتحدث عن الإخاء بين نعمان والزبيري في أسلوب تحليلي يتسم بالعمق الفكـــري، يـــذكرنا بالكاتب الكبير عباس محمود العقاد في العبقريات التي أبدعها.

يقول الكاتب:

"إن هناك حقيقة ثابته تقوم عليها فكرة الإخاء بين نعمان والـــزبيري، هذه الحقيقة ليست العاطفة، وليست الأشواق المبرحة وليست المنفعة ولا التجارة، وليست الشركة في مغنم ولو كانت شيئا من ذلك لما ثبت تلـــك الأخوة وسط الأعاصير والأهوال"..

ثم يصل الكاتب في النهاية إلى فكرة الوطنية الخالدة هي التي جمعت بين الرجلين وبنفس الأسلوب كتب بعكر سير النابغين والمشهورين من العلماء والأدباء والزعماء والشعراء.

كلمة في الختام

لاحظنا أن التعددية سمة هذا الشاعر المؤرخ الناقد وكاتب السيرة الذاتية، وهذه التعددية كان لها أثر كبير في كل ما كتب لقد تميز في الشعر لأنه ناقد وتميز في النقد لأنه شاعر وتميز في الاثنين لأنه عاشق للتاريخ، وكتب السيرة باقتدار لأنه شاعر وناقد ومؤرخ، أفاده الشعر بلغة عربية سليمة وبليغة وأسلوب يتدفق سلسلا، وأخذ من النقد موضوعيته ومقدرته على التحليل والمقارنه والتنظير، وأسبغ عليه التاريخ نعمة التبصر وتكوين رؤية متكاملة، وظني أن هذا العالم الشامخ والأديب المتنوع والشاعر المطبوع والناقد المتميز والمؤرخ الحصيف لا تستطيع دراسة مثل هذه أن تستوعبه،إن التكافؤ مع هذه الشخصية الثرية يحتاج إلى كتب عديدة.

القسم الثاني

حوار مع دان بروان

حققت رواية "شفرة دافنشي" أرقاما خيالية في مبيعاتها وكان لهم ردود أفعال قوية في معظم أنحاء العالم وللكاتب أعمال أخرى مثل حقيقة الخديعة، وملائكة وشياطين، والجحيم التي صدرت حديثا والقلعة الرقمية الذي يدور حولها هذا الحوار، ومن خلال هذا الحوار مع الكاتب نتعرف على عالمه الإبداعي ودوافعه في الكتابة.

ولد دان بروان في بلدة صغيرة هي نيو انجلند إكستر في نيو هامشير عام ١٩٦٤، وكان ابنا لمعلم يمتلك مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب، وقد سار الابن على نهج والده في التعلم والعمل فقد عمل بعد تخرجه مدرسا للغة الإنجليزية، أما السفر ولعب التنس وتأليف الموسيقى فهذه كلها أشياء مصاحبة للكتابة.

- هل خططت لنفسك كي تكون كاتبا؟

• ليس بالضبط، عندما تخرجت من الكلية كنت أحب شيئين كتابة القصة والموسيقى، عشت في هوليود فترة حاولت أن أفعل شيئا في مجال الموسيقى والأغنية، و لم أوفق في ذلك فقررت أن أتجه لكتابة القصة وحققت مبيعات لا بأس منها، فعرفت أنني موهوب في الكتابة لكن الأمر يحتاج لشيء من الصبر والاستمرارية ومن ثم بدأت رحلة الكتابة.

- هل أعدك التعليم لأن تكون كاتبا؟

• إلى حد كبير لأنني قرأت كثيرا من الكلاسيكيات، حيث الإتقان في صناعة الحبكة والوصف، كم أن مناقشة وتحليل الأعمال في قاعة الدرس كان لها أثر كبير في عملي.

- ما هي أهم الدوافع وراء كتابة روايتك القلعة الرقمية؟

• في ربيع عام ١٩٩٥ ظهر أحد الطلاب على النت ومن خلال البريد الإلكتروني الذي أرسله لأصدقائه علمنا أنه استطاع الوصول إلى جهاز المخابرات السري الأمريكي، بل كان مستعدا لقتل الرئيس الأمريكي كلنتون، ورغم أن وكالة المخابرات الأمريكية لم تبد ذعرا كبيرا لما يقولونه هؤلاء الأطفال فى بريدهم الإلكتروني إلا أنني بدأت البحث في هذا الموضوع، وقمت بدراسات حول منظمات مثل وكالة الإستخبارات

الأمريكية ووكالة الأمن القومي حيث لا يعرف أكثـــر مـــن ٢% مـــن الأمريكيين دورها، كيف تعمل الوكالة مثل مكنـــسة كهربائيـــة تقـــوم بامتصاص بيانات الاستخبارات حول العالم وتقوم بمعالجتها، وكيف يـــتم البحث عن الكلمات الخطرة، وكيف تكون السرية والمغزى الساحر لمفهوم الأمن القومي، كل هذه الأشياء كانت خلفية عظيمة لرواية القلعة الرقمية.

- كيف واصلت البحث من أجل كتابة هذه الرواية المعلوماتية؟

• أنا لا أعتقد أن رواية القلعة الرقمية هي رواية تقنية مشفرة فقد اعتمدت على المطاردة وقصه حب كخلفيه للوكالة السرية الساحرة، ولم يؤثر الجزء المعلوماتي على جاذبية الرواية، ومن خلال الرسائل التي وصلتني أكد القراء أهم أحبوا الرواية بعيدا عن الكتابة المشفرة ووكالة الأمن القومي. إنها رواية وليست حاسوبا.

- كيف التحمت بمصادرك ووكالة الأمن القومي مثلا؟

• بينما كنت أبحث عن طريقة مشفرة لكتابة رواية القلعة الرقمية تكلمت مع بعض الناس الذين اكتشفت فيما بعد أهم كانوا ضمن ضباط الأمـــن القومي السابقين، وقد كنت محظوظا بالاجتماع وجها لوجه مع وكيـــل مؤتمن على السرية في المفوضية الأمريكية ، وقد ســـاعدني قـــانون حريـــة المعلومات كثيرا في ذلك.

– ما مقدار تعرف الحكومة حقا حولحياة المواطن المتوسط الخاصة ؟

• الحكومة تعرف كثيرا عنا أكثر مما نتخيل، فلديهم الأقمار الصناعية التي تستطيع استماع نداءات الهاتف الخلوي وكل أنـــواع أجهـــزة الاتـــصال الإلكترونية الأخرى، لكن وكالة مثل وكالة الأمن القومي مـــثلا أكثـــر اهتماما بالإرهابين من المواطن المتوسط العادي الذي لا يشكل خطرا.

– هل كانت التعليقات التي وصلتلك بِأن الرواية مرضية؟

كانت التعليقات التي وصلتبخصوص القلعة الرقمية مرضية جـــداً، وقـــد اعتبرت الرواية من الكتب الأكثر مبيعا وهي تعد الآن كفيلم ســـينمائي، وصلتني رسائل كثيرة من قراء متحمسين أعجبهم البعد الأخلاقي الـــذي طرحته الرواية في الوقت المناسب متمثلا في هذا السؤال.. ما مقدار السرية التي يجب أن نستسلم لها كمواطنين لضمان أمننا القومي؟ وهنـــاك بعـــض القراء الذين قالوا إن بعض أحداث الرواية يمكن أن تحدث في الحياة الحقيقة.

– بعيدا عن الاستخبارات والقراء النهمين بقراءة رويات التجـــسس... لم يكن الأمريكان يعرفون كثيرا عن جهاز الأمن القومي "nsi" فما هو طبيعة عمله بالضبط؟!

• تم تأسيس جهاز الأمن القومي في نوفمبر عام ١٩٥٢ من قبل الـــرئيس ترومان وعمله هو تحليل المعلومات الاستخبارية التي تأتي من الحكومـــات

العدائية لأمريكا، كما أنه يمكن الاتصالات الآمنة بين الجيش والمسئولين الأمريكيين، وهو مسئول عن شن حرب المعلومات وسرقة أسرار الناس الآخرين وميزانيته ١٢ بليون دولار سنويا ويعمل به حوالي ٢٥٠٠٠ مستخدم ويشغل مساحة ٨٦ هكتارا، وهو بيت حاسبات العالم الأكثر فعالية بالإضافة إلى بعض كتاب الشفرة الأكثر روعة، وعلماء رياضيات وتقنيين ومحللين، ورواية القلعة الرقمية تدور حول نموذج نسائي رائع يعمل داخل هذه الحيطان المقدسة، والهدف الجوهري للجهاز هو مراقبة اتصالات المواطنين الأمريكان، لأن هذه المراقبة ضرورية لسلامة الجمهور الأمريكي من الأعمال الإجرامية الإرهابية الأخرى.

- ما هو الجزء الذي كان كان أكثر صعوبة في كتابة القلعة الرقمية؟

• كنت أجبر نفسي لقضاء من ٥ إلى ٨ ساعات يوميا على المخطوطة، لقد كتبت أكثر من ألف صفحة حتى تخرج الرواية في ٣٥٠ صفحة.

- كيف خلقت هذه الشخصيات الرائعة من أمثال سوزان فليتشير كاتبة الشفرة، الجميلة الذكية، وديفيد الأستاذ في جامعة جورج تاون واختصاصي اللغة الأجنبية؟

• سوزان وديفيد من النماذج البشرية التي أعرفها جيدا لأنني مغرم بالقراءة عن الشخصيات التي لها مواهب استثنائية.

- هل التقدم في التقنية تعني موت السرية للأشخاص؟

• نعم كل يوم يصبح المدنيون لديهم أسرار أقل وأقل، لقدأ العالم مكانا خطرا، فالمجرمون عندهم القدرة للوصول إلى نفس التقنية، إذا أرادت الحكومة أن تمسك الإرهابين الذين يستعملون البريد الإلكتروني أوالهواتف الخلوية في هذه الحالة فإنها تزود بوسائل لمراقبة هذا النوع من الاتصال وفي النهاية يكون ثمن الأمن القومي خسارة كلية في مجال السرية.

- دعنا نتحدث عن الأماكن وهل يضيف المكان بعدا للقصة؟

• إذا أردت أن تكتب قصة حب لا تضع القصة في منتصف مع موقف السيارات، ولكي يكون الوضع مثيرا لابد أن يتناغم المشهد مع الموقف،فإذا كتبت قصة في مدرسة خاصة و لم تكشف من خلال المعلومات عن ماهية عمل المدرسة وأسرارها فإن الوضع يصبح مملا.

- هل مهم للكاتب استعمال شبكة النت؟

• إذا أردت أن تكتب عن شيء ما وبدأت في استعمال الويب فلابد أن تدرك مدى المسئولية لأن أكثر من نصف المعلومات في عداد القمامة، ومن المهم مراعاة ذلك أما أنا أستعمل الويب كأداة إلهامية لتكوين الأفكار كما إنني أعتمد على الكتب أيضاً.

- ما هى الكتب التى تحب قراءتها؟

• أعرف أنه من المفترض أن أدرج كل الكتاب العظماء الـــذين ألهمـــوني لكنني مشغول جدا بالكتابة ولا وقت عندي للقراءة غير ما يخص عمليـــة البحث من أجل الكتابة وأثناء الكتابة أمسك بعض القصص المثيرة الموجودة على الرف وأبدأ القراءة.

- ما هي أهم مشاريعك في الكتابة الآن؟

• لقد اشترى الناشر حقوق تأليف روايتي القادمتين، لذا أنا جاد في العمل في قصة التيكنو المثيرة وموضوعها يدور بين سويسرا وروما حيث المعركة القديمة بين العلم والدين بدأت تسخن مرة ثانية.

نايبول والحضارة الإسلامية

من حق الذي يحصل على جائزة نوبل أن يشغل الناس حتى وإن كان هذا الانشغال موقوتا، لأن هذه الجائزة تعبر بمن يحصل عليها إلى مرحلة العالمية.. ولما أعلنت الأكاديمية السويدية في أكتوبر ٢٠٠١ اسم الفائز بالجائزة في الآداب جاء اسم نايبول مدهشا ومحيرا للكثيرين، فهل كانت الدهشة تقصد مدى تنوع الإبداع وتميزه من عدمه؟ أم أن آراء الكاتب السياسية ولا سيما المقترنة بالإسلام والمسلمين كانت هي محرك الدهشة وسبب الحيرة؟!

لكن اللجنة المشرقة قد منحت الجائزة وعبرت عن حيثية الاستحقاق بهذا الملخص "لأنه يمتلك رؤية متكاملة في رواياته ويمتلك أيضا وجهة نظر محايدة ونزيهة في الأعمال التي تتناوب التواريخ والحضارات الأخرى".

ومن خلال هذه العبارات الموجزة لا نستطيع أن نفرغها من الدعامتين الأساسيتين وهما الرؤية الفنية والرؤية الفكرية، كما لا نستطيع أن نغفل دور ونشأة الكاتب وتكوينه الثقافي في تقييم أفكاره ورؤاه، ونحن أيضا في حاجة إلى نوع من التأمل النقدي في أهم أعماله، نقول التأمل وليست الدراسة النقدية المتأنية الفاحصة لأن المقام لا يسمح بذلك ولا ننسى أن هذه البانوراما التي تستوعب كل هذه العناصر يمكن أن تشكل قاعدة انطلاق لرؤية أكثر عمقا وركيزة أقرب للانصاف، والمقصود بالانصاف هنا هو معرفة البواعث والدوافع التي جعلته ينتصر لثقافته على حساب ثقافة أخرى ويتحيز لحضارة بعينها، ويكمن أيضا أن نتبين مدى اقتراب لجنة الجائزة من منطقة الهوى السياسي ومدى تلون الجائزة بإيحاءات ودلالات سياسية، وسوف يتطلب منا ذلك أن نطوف ونتجول مع الكاتب في حياته وأعماله ورحلاته.

تائه بين الحضارات

ولد فيديا دهار . سوراج براساد والذي عرف بعد ذلك بـــ "ف. س نايبول" في ترينداد عام ١٩٣٢ لأبوين هنديين من البراهمة هاجرا من الهند إلى جزر الهندية الغربية، وقد هاجر جدوده إلى ترينداد للعمل في مزارع السكر ليحلوا محل العمالة المفقودة بسبب إلغاء تجارة العبيد، ولم تخل هذه الجزيرة من العنصرية بين البيض والسود والهنود والأفارقة، أما عائلة الكاتب

فقد كانت كبيرة ولها الكثير من الفروع في كافة المستويات الاجتماعيـــة، وكان له أخ وخمس أخوات وعدد يزيد على الخمسين من أبناء وبنات العم وقد كانت الثروة في جانب أهل الأم، ولذا كانت عائلته فقـــيره نـــسبيا ووالده كان صحفيا، وقد شعر نايبول أنه قريب جدا منه، ثم انتقـــل مـــن جزيرة ترينداد إلى انجلترا ليدرس الأدب الإنجليزي في جامعة أكسفورد وهو في الثامنة عشر حيث الثقافة الإنجليزية، وهكذا نشأ موزعا بـــين عـــالمين شديدي التعارض والتناقض، ولم يستطيع أن ينتمي كاملا لأحدهما وبينما كان نايبول يدرس في اسكفورد مات والده إثر أزمة قلبية عام ١٩٥٣ قبل أن يحقق أية طموحات أدبية، وقبل أن يشهد نجاح ابنه ككاتـــب، وبعـــد تخرجه تزوج من سيدة إنجليزية هي باتريكيا هيل عام ١٩٥٥ والتي ماتـــت عام ١٩٦٦ ثم تزوج بعد ذلك من مطلقة باكستانية تعمل صحفية اسمهـــا ناديرا.

بدأ يمارس الكتابة بعد تخرجه مباشرة ثم عمل جزء من الوقت في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) وكتب عددا من المقالات النقدية، أصدرها في كتب، وقدم عددا كبيرا من كتاب أمريكا الجنوبية المشهورين في الإذاعة.. كتب الرواية والقصة القصيرة والسيرة الحياتية وبرع في كتابـــة المقـــالات وأدب الرحلات ومارس الصحافة الأدبية في واحدة من المجلات الهامة مـــن عام ١٩٥٧ إلى ١٩٦١.

ومن خلال عرض سيرة حياة الكاتب نرى أنه من أصل هندي مـــن عائلة البراهمة لكنه عاش طفولته وجزء من شبابه في ترينـــداد، ثم درس في إنجلترا واستقر فيها فتشتت بين عوالم ثلاثة،كما أن اللغة التي كتـــب بهـــا وأتقنها لم تكن لغته الأصلية ولذا فقد تمزق وجدانيا وفكريا بين ثقافـــات متعددة، وكانت هذه البذور من أهم العوامل التي أثرت في تكوين نايبول النفسي وجعلته يشعر دوما بالغربة والاغتراب والعزلة، فقد اكتشف بأنه لا جذور له وحاول دائما أن يتجنب ذلك الشعور بالانتماء ومن البديهي ألا نغفل أهمية المؤثرات الأولى في تشكيل كيان الكاتب الثقافي سواء عملـــت هذه المؤثرات بطريقة واعية أو انسابت عن طريق اللاوعي.

إن افتقاد نايبول لجذوره الحقيقة وإحساسه أنه غريب بلا وطن وكتابته بلغة الاستعمار وهو غير قادرعلى التواصل مع حضارة هذه اللغة، كل ذلك لم يقف عائقا أمام نجاحه ككاتب، بل أصبح شخصية بارزة بين أقرانه من الهنود الغربيين إلا أن ذلك ظل قابعا في الأعماق وطبع أسلوبه في الكتابـــة .بمذاق خاص يتسم بالسخرية والتشاؤم مما جعل النقاد يربطون بينه وبـــين الكاتب الإنجليزي البولندي الأصل جوزيف كونراد وكلاهما وقع في فـــخ المأزق الحضاري.

نايبول .. روائيا

هل سمعت أن أحدا من ترينداد يكتب روايات؟!!

جاءت هذه العبارة على لسان الناشر المتحضر في روايـــة "المـــدلك الصوفي" وتبين هذه العبارة مدى المعاناة التي يشعر بها الكاتب تجاه مجتمعه الفقير العشوائي مقارنة بتراث الأدب الإنجليزي الرصين، ومع ذلك فقـــد كتب نايبول الرواية والقصة والمقال حتى حصل على جائزة نوبل وأهـــدى هذا الفوز لكل من الهند وإنجلترا رغم أنه قال يوما ما:

"يبدو مستحيلا أن الحياة التي عرفتها في ترينداد يمكـــن تحويلـــها إلى كتاب". إن هذا الإحساس بالدونية الثقافية لم يبرح وعي الكاتب وسوف يظهر ذلك جليا من خلال استعراضنا لأهم أعماله، كانت رواية "عامـــل التدليك الصوفي" عام ١٩٥٧ بداية تعرف القراء على إبداع نايبول الروائي وتلاها بمجموعة من القصص القصيرة.

"شارع ميجيل" عام ٥٩ والتي فازت بجائزة سومرست موم الأدبيـــة السيد بيسواس والتي صدرت ١٩٦١ والتي تلاها بالأعمال الآتيه "منطقـــة مظلمة" عام ١٩٦٤ والتي فازت بجائزة فونكس ترست "في بلد حر" عـــام ٧١ والتي حصلت على جائزة بوكر برايس وهي جائزة معروفـــة بثقلـــها الأدبي والنقدي ثم رواية "منعطف النهر" عام ١٩٧٧ والتي صدرت ضمن روايات الهلال المترجمة عام ١٩٩٢، ورواية "لغز الوصول" عام ٨٧، "طريق عبر العالم" وهو علم بين الرواية والسيرة وهو يرصد حركة الكولينيالية من

خلال تاريخ روائي ثم رواية "نصف حياة" وهي أقرب أيـضا إلى قالـب "السيرة الذاتية" من خلال البطل ويلي سومرست شاندران المولود في الهند عام ١٩٣٠ والذي أخذ اسمه الثاني من اسم الكاتب الإنجليزي المعـروف "سومرست موم" وسيرة حياته تذكرنا بسيرة حياة نايبول، ومعظم أعمال الكاتب تجمع بين الرواية والسيرة وتـسودها روح التـهكم والـسخرية والتشاؤم أما الأعمال الأخرى غير الروائية فتذكر منه كتابـه "الهنـد".. حضارة جريحة عام ٧٧ وكتابيه "وراء الإيمان"و"بين المؤمنين" وقد أثـار الكثير من الجدل والنقاش وسوف نعرض لها بإيجاز، ونايبول واحـد مـن كتاب منطقة غرب الهند الإنجليزية السابقة وخاصة كتاب الرواية الـذين ازدهر أدبهم بعد الحرب العالمية الثانية ومنهم أيضا: روجر ميس، أدجـار هولزر، جون هيرين، ولسن هاريس، صامويل سليفون وهؤلاء قد كونـوا كيانا لعالم يستيطع أن يقف موازيا للمجموعة التي تمثل الكتاب الإنجليـز والأمريكين في فتره ما بعد الحرب، وقد انتشر أدب هؤلاء الكتاب الـذين يكتبون بالإنجليزية خارج حدود بلادهم الصغيرة وهـم لم يتـساووا في النجاح الذين حققوه، ويعتبر نايبول واحدا من اثنين حققا انتشارا كـبيرا والآخر هو "لامنج" الذي حقق انطباعا قويا بسيرته نصف الذاتية "قلعة من جلدي" عام ١٩٥٣ إلا أن نايبول تفوق عليه، لأنه حقق نوعا من التكامل الفني، وحصل على جوائز عديدة في محيط الأدب الإنجليزي.

هو واحد من كتاب الكومنولث الجديد الذين يتعاملون مع المجتمـــع وماضيه تعاملا جديدا كنوع من التواصل غير التقليدي بين الرواية والمجتمع، رغم أنهم لم يتركوا القوة التقليدية للرواية والتي قلت في السنوات الأخيرة عند الكتاب الإنجليز، والأمريكين، ونايبول لم يكتب محتـــذيا المـــوديلات الأدبية أو متأثرا كثيرا بالكاتب الإنجليزي جوزيف كونراد وفي رواية "لغز الوصول" يناقش حقيقة إنجلترا مثل رأي أنثروبولوجي، كما أنـــه يـــدرس موطن رأسه غير المكتشف والقابع في الأعماق، حيث يحكي عـــن انهيـــار ثقافات العالم الحديث وهي مسئولة عن فشل هذا العالم، وسوف ننـــاقش ونفند هذا الاعتقاد الذي لم يك موضوعيا ونتعرف على الأســـباب الـــتي كونت وبلورت هذا الاعتقاد عند نايبول وفي رواية "منطقة مظلمة" سجل اعتقاده هذا، وكيف أن خبراته السابقة بالهند قتلت جذور الانتماء لديـــه حتي أصبح كولونياليا بدون ماض ولا أسلاف أو إنجليزي دون مجـــاراة في المحاكاة، وهو يتهكم على أمثاله من الكولنياليين الجدد ويـــصفهم بـــأنهم يستطيعون فقد تقليد أسيادهم الحاليين.

إن هذا الاستلاب الثقافي والانبهار بالغرب يوضح إلى أي مدى شعور نايبول بالدونية وأنه لا جذور له، وقد ساهم كل ذلك في إحساسه الدائم بالعزله والاغتراب وموقفه الفكري العدائي ضد كل ماهو أصـــيل ثقافيـــا

أوقديم حضاريا حتى أنه يتهم الهنود بأنهم جعلوا الحرمان أوالإعدام الـــذاتي دينا والعجز والسلبية فلسفة.

نعود مرة أخرى إلى نقطة انطلاق نايبول وهي رواية "منزل الـــسيد بيسواس" والتي حلقت باسمه إلى آفاق الشهرة، هذا العمل الذي يجمع بين التراجيديا والكوميديا أو ما يطلق عليه "الكوميديا السوداء"، وقد استقى الكاتب أحداث الرواية وشخصياتها من علاقته بموطنه في ترينداد، وتلـــك العلاقة الخاصة جدا التي كانت بينه وبين والده والذي يصفه بأنه كان رجلا منهزما مثل "بيسواس" ويشعر دائما بالاغتراب عن عائلته، فبطل الروايـــة هندي من البراهمه يعيش في ترينداد واسمه "موهين بيسواس" وهو مثل والد نايبول شديد دائما على نفسه عميق جدا في جراحه، وقد يكون ذلك سببا في إخفاقه، فهو غير محظوظ منذ مولده، وكل طموح السيد "بيسواس" هو منزل يمتلكه يكون القاعدة الأساسية لوجوده واستقلاليته، ولذا نراه يكافح في كل الاتجاهات ويمارس أعمالا شتى، فهو تارة فنانـــا ورســـاما وتـــارة صحفيا ومرة كاتبا للقصص لكن كل ذلك لم يشفع للسيد "بيـــسواس" في امتلاك منزل، والرواية محكمة جيدا وتعلو فيها نغمـــة الرمـــز في تكامـــل وانسجام. إنها ثمرة ناضجة من مخزون خبرات الكاتب الأولى في ترينـــداد، وتمثل العلاقة بين الفرد والمجتمع وكفاحه في ظل ضغوط عاتية تحيد به عن تحقيق أهدافه وطموحاته حتى وإن كانت متواضعة، والرواية تقليدية مـــن

حيث أسلوب الكتابة فالأحداث تنمو وتتلاحق رأسيا منذ ميلاد البطل وحتى وفاته مرورا بلحظات النجاح القليلة والإخفاق الكثيرة، والبطل يتحرك في إطار اجتماعي داخل وطن يعتريه الركود ويحاول البحث عن ذاته ولو في عيون أصدقائه.

إن الرواية تمثيل جيد لأدب العالم الثالث المكتوب بالإنجليزية، وبداية اعتراف قراء هذه اللغة بنايبول كاتبا وروائيا.

حضارة جريحة

كتب "نايبول" هذه الكتب الثلاثة على مدار اثنين وعشرين عاما: "الهند.. حضارة جريحة" عام ١٩٧٧، "بين المؤمنين" عام ١٩٨١، "وراء الإيمان" عام ١٩٩٨، وهذه المؤلفات غير روائية، وإنما هي كتابات اعتمدت على فكر الكاتب وآرائه وتأملاته، إنها وجهة نظر يعتنقها نابليون بعد رجوعه من الرحلات قام بها إلى دول العالم الثالث، وعلاقة ثقافات العالم الثالث بالحضارة الغربية هي المنطقة التي يفضلها الكاتب ويكتب فيها دائما والمحور الفكري المركزي الذي يستند عليه ومن وجهة نظره يعتبر الحضارة الغربية هي المركز، أما الحضارات الأخرى فيجب أن تزول أو أن يسير أصحابها على نهج حضارة المركز، فلابد للأطراف أن تسعى دائما للغرب والمقصود بالأطراف كل العوالم ما عدا الغرب وخاصة دول العالم الثالث.

وفي كتابه: "الهند.. حضارة جريحة" والذي صدر عام ١٩٧٧ يفتري على الإسلام ويدعي فيقول: "إن تأثير الإسلام على العالم أشبه بالكارثة التي سببها الاستعمار" وحين يتكلم عن الهند باعتبارها حضارة جريحة يقول: " الأرض التي جرحها الاستعمار الإنجليزي ومن قبله الفتح الإسلامي" لقد وصلت درجة العنصرية بنايبول أن يساوي بين الاستعمار والفتح الإسلامي! لأن الكاتب قد فقد القدرة على التواصل مع تراثه فأراد أن يمحو كل تراث إنساني آخر وكل إنجاز حضاري عدا الإنجاز الغربي، إن الماضي عند نايبول يذكره دائما بأدغال وأحراش وأكواخ "ترينداد" مسقط رأسه.. الماضي لديه هو الخوف والفزع والإحباط ورغم أنه اجتر هذه التجارب والذكريات الأليمة في رواياته إلا أن حجم المرارة أكبر من أن تشفيه الروايات فأراد أن يلسع بما تبقى لديه من مرارة الحضارات التي سبقت الحضارة الغربية.

واختص الإسلام دينا وحضارة بالنصيب الأكبر، وفي كتابه "بين المؤمنين" الذي صدر عام ١٩٨١، يعود الكاتب مرة ثانية فيتهم الإسلام والمسلمين بالتعصب الديني والسياسي، وقد عاب عليه كثير من النقاد والقراء هذه الزوايةالضيقة التي ينطلق منها في إصدار الأحكام البعيدة كل البعد عن الموضوعية الفكرية، أما كتابة الأخير "وراء الإيمان" والذي صدر عام ٩٨، وقد كتبه بعد أن أقام بجولة في عدد من البلاد الإسلامية غير

العربية وهي إيران وأندونيسيا وباكستان وماليزيا يعاود نفس الإتهامـــات والإدعاءات بل، ويزيد على ذلك فيصف الإسلام في شبه القارة الهنديةبأنه قوة أكثر تدميرا من قوة الاستعمار "البريطاني"، وفي مقال لنايبول بعنـــوان "حضارتنا العالمية" في نوفمبر عام ١٩٩٠ يقول فيه: "سوف أتبنى فكـــرة الأخذ بالحضارة الغربية وإزاحة أية حضارات أخرى لأنها حضارة السعادة فيها كل ما يتمناه الإنسان، الحرية والعدالـــة والاســـتمتاع والتقـــدم"، ثم يستطرد قائلا: "إن رحلتي من ترينداد إلى انجلترا هي رحلة من الخارج إلى المركز، من الأطراف إلى القلب، قلب الحضارة الغربية التي هـــي المركـــز وكل ما عداها من حضارات هي أطراف ولابد لها أن تنضوي تحت لـــواء الغرب".. هذا هو فكر نايبول الذي يؤمن به ويعتنقه ويردده دائما وينطلق منه في محاضراته ومقالاته وكتاباته.

يقول صديقه السابق "بول ثيروكس" والذي قابلـــه عـــام ١٩٦٦ في كمبالا بأوغندة كان "بول" يدرس الأدب الإنجليزي في كلية الآداب هناك، وجاء نابليون ضيفا على الكلية باعتباره كاتبا معروفا، وأثناء حفل كوكتيل أقامته الكلية، تم التعارف بين بول ونايبول وكانت بداية صـــداقة بينـــهما استمرت أكثر من ثلاثين عاما ولكن منذ سنوات قليلة وبسبب تـــصرفات نايبول وإتجاهاته قطع بول أواصر الصداقة معه.. يقول بول ثيروكـــس في مقال له بعنوان "قتل الأب" عن صديقه السابق نايبول.

"لقد أعجبت في البداية بموهبته: وبعد فترة لم أعجب بشيءعلى الإطلاق، وأخيرا بدأت أتعجب من موهبته.. حقيقة أتعجب منها بل وأشك فيها، ووجدت نفسي أمر مرور الغافلين على الكثير من الصفحات في كتبه الأخيرة.. في الماضي كنت أتهم نفسي وأقول إن الخطأ خطأي أما الآن فإنني أيقنت أنه مجنون".

أليس غريبا أن يكون ف. س نايبول الأديب العالمي رقم ٩٨.. هكذا أراد القائمون على جائزة نوبل في الآداب في بداية الألفيه الثالثة ومرور مئة عام على تأسيس جائزة نوبل، بل وفي هذا التوقيت بالتحديد ولكاتب وصل إلى هذه الدرجة من العنصرية ضد الإسلام والمسلمين.

لورانس.. الكاتب العاشق

رغم مرور أكثر من نصف قرن على وفاة الكاتب والروائي الإنجليزي دى اتش لورانس إلا أنه ما زال يثير الجـــدل في كافة الأوساط الأدبية والفنية، باعتباره مفكرا جريئا وروائيا قد سبق عصره فكرا وفنا وحطم الكثير من التقاليد البالية.

لقد هز لورانس وقار البرجوازية الإنجليزية بكتاباته الرائعة عن الجسد لقد أحس لورانس بغموض الجنس ورهبته وقوته وبأنه الحافز الأول الذي يدفع الحياة، إنه المشكلة التي درسها وأحسها ولمسها في بيئته، وهو الـــداء الذي رآه يمثل الظاهرة الخطيرة في المجتمع الإنجليزي والذي يحدث كثيرا من الانحرافات والتصرفات المرضية، وإذا لم يكن الكاتب مرآة صادقة لعـــصره ومجتمعه وتجاربه الذاتيه فلا قيمة لإبداعه الفني الذي يكتبـــه، إن الوجـــود الإنساني في كثير من الأحيان يكون عنيفا وصارخا بل ومدمرا وواجـــب الكاتب ألا يهمله أو يتغاضى عنه، بل يجب أن يتعرض له ويعبر عن أجوائه.

إن الجنس في أدب لورانس جزء من حياة العصر الحـــديث الملـــيء .بمختلف أنواع الأحداث، لكنه لم يكن هدفا في حد ذاته إنما هـــو وســـيله للتعرف على أسرار الحقيقة التي تحرك النوازع والتصرفات وأنواع السلوك الإنساني.

إن لورانس لم يكن كاتبا جنسيا بل إتخذ الجنس أسلوبا لاكتـــشاف وتفهم روح الإنسان، إنه قناة العبور للولوج داخل هذا الكيان الإنـــساني المتشابك، إنه فرصة للتعمق داخل النفس البشرية بل تعمق الحياة الاجتماعية وتعريتها، فلا الجنس ولا الكتابة عن الجنس موضع اعتراض من أحد كـــي يتحدث عنهما من الناحية الأدبية والأخلاقية، إنما الاعتراض على ابتـــذال الجنس والاتجار به في سوق الملذات والشهوات واتخاذه وســـيله للتـــرويج باستثارة الغرائز وتحريض النزعات البهيمية التي يتساوى فيهـــا الإنـــسان والحيوان ولكن السؤال لماذا يكتب الكاتب عن هذه المسائل؟

والإجابة: يكتب بهدف التعرف على الحقائق الإنسانية وتمثيـــل العيـــوب والنقائص ومواطن الضعف في الطبيعة البشرية.

أبناء وعشاق

إن العقدة النفسية التي تولدت في لورانس كانت بسبب تعلقه الزائد بأمه وكان هذا التعلق انعكاسا لحبها، حتى لقد طردت من حياته العاطفية كل عاطفة نحو امرأة أخرى وكان شبحها يقف بينه وبين كل فتاة يجذبـــه

حسنها، فإذا هو يعجز عن الإحساس نحوها بغير الحب الجنسي أما الحـــب القلبي الصافي كان وقفا على أمه دون سواها، وفي رواية أبناء وعـــشاق، يصور الكاتب الصارع النفسي الموجع الذي عاش فريسة له، بين عاطفتـــه القوية لأمه وعواطفه الجنسية الحادة نحو غيرها من النساء ويزيد في ترجيح هذا الظن أن لورانس كتب هذه الرواية عام ١٩١٣ بعد وفاة أمه بفتـــرة وجيزة.

أن بول بطل الرواية يغترف ما شاء من نهر المتعة مع عشيقته كـــلارا لكنه بعد فترة يحاول أن يتجنبها وينهرب منها، في تلك الأثناء تسقط أمـــه فريسة لمرض السرطان، فتنتقل من المستشفى إلى بيتها تنتظر الموت البطيء المحتوم وتسوء حالة أمه وتستبد بها الآلام فيضعف بول عن احتمال عذابها وينهي آلامها بجرعة مورفين مضاعفة تقضي عليها، ثم يقف جاثيا إلى جوار فراشها ويقبل جسدها المسجي وهو يهمس لها ما لم يهمس به لامـــرآة أو عشيقة، إن حبه لها قد استأثر بقلبه وخنق فيه كل عاطفة نحو غيرها مـــن النساء لكن شبابه يستيقظ فيه وينقذه من الاستسلام لحزنه فيكظم أســـاه ورغبته في الموت للحاق بأمه، ويمضي مسرعا نحو أنوار المدينة.

لورانس والحداثة

في عام ١٩١٣ أعلن لورانس الحرب على أعمال جـــالزروثي وشـــو وكان يطلق عليها جماعة المسطرة والقياس الرياضي، وحين انتهى من كتابة

روايته أبناء وعشاق بما فيها من تعقيدات أدبية، بدأ يرصد هواجسه المستحوذة عليها بعبارات جديدة تماما وليتوارى العقل الواعي وليقدم العون إلى اللاشعور ليسود بكامل طاقته، وقد كان ذلك من قبيل التجديد والتحديث الذي لم يسبقة إليه أحد من قبل، لقد كانت طاقة الحياة في أدب لورانس شيئا صوفيا وسحريا وأسطوريا كل ذلك في غموض مقصود، فالغيبوبات والنشوات ونوبات الجنون السعيدة ومنابت الورود والرقصات بحضور القطعان وابتهال الثمار المستمر والمحاصيل والحقول والتماثيل الصغيرة، كل ذلك يستثير مشاعر أبطاله، إن روايات لورانس من أمثال القديس مارو، والقنفذ، والشيطان المزين بالريش، تثير بما فيه الكفاية مسألة الهناءات الأرضية، وفي الرواية الأخيرة يظهر كيف أن الأسطورة يمكن أن تعيد الماضي إلينا؟ وهذه فكرة حديثة وثرية.

فانتازيا اللاشعور

إن فانتازيا اللاشعور أحد كتابين في التحليل النفسي أبدعهما الروائي البريطاني لورانس، إنه كتاب ضروري للفهم الأصح والأكمل لتلك الأعمال الروائية، يقول لورانس في هذا الكتاب:

"إن وجود هدف عظيم في حياة الإنسان يسعى لتحقيقه ليس من الجنس في شيء ويجب ألا يختلط به".

إنه فعل قوي في الاتجاه الآخر، إن أعظم ما يسعىإليه الإنسان هـــو تحقيق هذا الهدف، أما حين يفقد الإيمان به فإنه يشعر بالخسارة والتعاســة ويصل إلى مرحلة اليأس إذا ما وضع الإشباع الجنسي بديلا لذلك الهدف، وحين يتوارى الجنس من أجل الهدف العظيم يتحقق الكمال، ولكن مـــن جهة أخرى لا يمكن لهذا الهدف أن يستمر طويلا دون إشـــباع جنـــسي حقيقي.

محكمة لورانس

بعد ثلاثين سنة من وفاة لورانس عاد البحث من جديـــد في روايـــة عشيق الليدي تشاترلي على نطاق أوسع مما كان في حياة صـــاحبها، لأن الأمر بدأ في حياته وانتهى يومئذ بتحـــريم طبعهـــا في الـــبلاد الإنجليزيـــة والولايات المتحدة وتم تهريبها للطبع سرا في المطابع الفرنسية والألمانية أمـــا الآن اختلف الأمر، لقد جازفت إحدى دور النشر بطبع أربعين ألف نسخة من الرواية وإعداد مائتي ألف نسخة ثم إصدارها، وقد تمت محاكمة الـــرواة بعد أن قامت الشركة الناشرة باستدعاء الخبراء والشهود، فاستدعت خمسة وثلاثين خبيرا من مؤلفين وأساتذة جامعات والنقاد والقراء المثقفين وقـــد شهدوا بأنه لا يوجد في الرواية ما يمنع تداولها، وما جاء من مواقف جنسية لم يأت من أجل إثارة الشهوات ولم يتجر الكاتب بعرض المناظر المحرضـــة للغرائز الجنسية، ولكن كان هدفه الأول والأخير هو إبراز العيوب في الحياة الزوجية والعلاقات الاجتماعية من أجل علاجها وتدارك أسبابها.

طاغور ونزعته الروحية

لقد وجدت في طاغور إسلامية فهو في روحه وقلبه وتعامله مع الإنسان مسلما صوفيا من الطـراز الرفيـع، بيـد أن للمسلم فرائض وسننا لا تتحقق في طاغور، ورغم نـشأته ضمن أجواء إسلامية لكنني لم أتبينها فيه من خلال منظومة أركان الإسلام.

ويقينا لو أن طاغور اطلع على القرآن الكريم وقرأه متدبرا معانيه إذن لاعتنق الإسلام، فنفاذ بصيرته ونزعته الإنسانية مهيئتان لذلك هذا ما تقوله الكاتبة العراقية سهيلة الحسيني المقيمة في مصر في أحدث كتبها "طـاغور الجانب الإيماني"، والكاتبة باحثة في التراث العربي والإسلامي، وهي مـن مواليد مدينة الموصل في العراق في هذا الكتاب تناقش وتحلل الكاتبة هـذه النزعة الإيمانية في شعر طاغور من خلال دراسة الرمز والصوفية وغيرها من الظواهر التي تؤكد وجود هذا الجانب الإيماني، شخصية طاغور شخـصية

أثرت في الغرب قبل الشرق، فلم يكن شاعرا فقط بل أديبـــا ومـــسرحيا ورساما وفليسوفا ومصلحا اجتماعيا.

نشأ في جو من الروحانية بسبب والده فقد كان من كبار روحـــانيي البنغال، عرف حب الطبيعة وأحب الله من صغره، ولد في ١٨٦١،توفيت والدته وهو في الرابعة عشر، وانتحرت أخته، وكذلك موت زوجته وثلاثة من أطفاله، وكل تلك الصدمات قادته إلى حب الإنسانية كلـــها لا فـــرد واحد، وقادته كذلك إلى الانغماس في العمـــل والاجتـــهاد والإصـــلاح والإبداع، "كان قادرا على تحويل الألم إلى فرح، وكان يرى أن مهمته هي اكتشاف الله، إله كل هذا الجمال وتحويل وتعديل الحياة لتصبح أجمل" أين يمكنني أن ألقاك؟ إن لم يكن في بيتي الذي أصبح بيتـــك؟ وأيـــن يمكـــنني الانضمام إليك.. إن لم يكن في عملي الذي صار عملك؟إذا غادرت بيتي لن أبغ بيتك.. إذا قعدت عن عملي محال علي أن أنضم إليك في عملك ، إذ إنك تقيم في وأنا فيك، أسس مرفأ السلام ليكون مدرسة تعلـــم فيهـــا الموسيقى ويدرس الشعر والرسم والعلوم والمسرح.
قال في يوم مولده الثمانين:

"عندما أجول ببصري من حولي أقع على أطلال مدنية مغرورة تنهار وتبعثر في أكوام هائلة من التفاهة والعبث ومع ذلك فلن أذعن للخطيئة الميتة في فقدان الإيمان بالإنسان، بل إنني بالأحرى سأثبت نظري نحو مطلع فصل

جديد من فصول تاريخه، عندما تنتهي الكارثة ويعود المناخ رائقا ومتناغما مع روح الخدمة والتضحية، سيأتي يوم يعاود فيه الإنسان، ذلك الكـــائن الأبي، خط مسيرته الظافرة على الرغم من كافة العراقيل، ليعثر على ميراثه الإنساني الضائع".

من أشهر أعماله ديوانه الرائع "جيتنجالي" الذي قال عنه الكاتـــب الفرنسي أندريه جيد: "ليس في الشعر العالمي كله ما يدانيه عمقا وروعة"

ترجم طاغور معظم أعماله إلى الإنجليزية وتوفي سنة ١٩٤١ بعـــد أن ناهز الثمانين، وحاز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩١٤.

تقول الكاتبة: لقد كان طاغور أحد رموز التجديـــد في الأدب الهنـــدي، وكانت لغته الرمزية في الشعر تتفوق على نتاج كثير من شعراء الصوفية ممن يغرقون في رموزهم و إيماءاتهم وإيحاءاتهم المكثفة، كما أن أشعار طـــاغور ذات سمات رقيقة ونسيج لا تخترقه النظرة البليدة أو العابرة، كما لا يحتجب أمام الرؤية الذكية الكاشفة والمتعطشة إلى استجلاء المعاني وليس المغالاة التي تسقط القيم الجمالية، وترهق القارئ كما في معظم الشعر الحر، فأفضل ما في الرمزية ترك مساحة للقارئ كيما يطلق العنان لخياليه وتصوره الخـــاص لإبراز الفكرة أو تحديد المضمون وفق خلجات نفـــسه وأحاسيـــسه مـــن كلمات الشاعر:

يستخرج المرء المعنى الذي يروق لــه

ومع ذلك فإن أسمـــى هـــذه المعـــاني

موجــــــــــه إليـــــــــك

رؤية طاغور للحضارة الغربية

ألقى طاغور محاضرة في جامعة طوكيوعام ١٩١٦ خاطب فيها الشبيبة بقوله: أنكم لا تستيطعون أن تلقبوا الحضارة الحديثة كما هي.

إن واجبكم أن تدخلوا عليها التغيير الذي تتطلبه عبقريتنا الشرقية.وواجبكم أن تبثوا الحياة حيث لا يوجد إلا الماكينة، وأن تستعيضوا بالقلب الإنساني عن حسابات المصلحة الباردة، وأن تتوجوا الحق والجمال حيث لا سلطان إلا للقوة الغاشمة والنجاح اليسير.

إن حضارة أوروبا نهمة ومسيطرة، تلتهم البلاد التي تغزوها.

أنها تبيد الأفراد والهيئات والشعوب التي تعوق مسيرتها الفاتحة.

إنها تستسيغ لحوم الآدمين، فهي تقهر الضعفاء وتثرى على حسابهم.

أنها آله للطحن، فهي تطحن أينما ذهبت الإنسانية، وتلقي بذور الغيرة والشقاق.. لإنها تصنع الفراغ حولها، فهي حضارة علمية مادية ومصدر

قوتها أنها تركز جميع قواها صوب غاية واحدة، الثورة والسلطة وتحت اسم الوطنية لا تراعي كلمة الشرف.

أنها تمد بلا خجل شباكها، ونسيجها الكذب، وتقيم للمعبود الهائل البشع الذي تعبده المعابد المشيدة للكسب والمنفعة.. ونحن نتنبأ دون تردد بأن ذلك لن يدوم، لأن في العالم قانونا أخلاقيا مهيمنا ينطبق على الجماعات كما ينطبق على الأفراد، فإن هدم كل مثل أعلى في الأخلاق ينتهي بأن يؤثر في كل عضو من أعضاء الجماعة، ويولد عدم الثقة والاستهتار، ويحطم في الإنسان كل ما هو مقدس.

إن حضارة تجعل دأبها أن تتمرد على القوانين التي سنها العلياالقدير لا تستطيع أن تنتهي إلا إلى "كارثة".

ورومان رولان الذي سجل بعض فقرات هذه المحاضرة في يومياته أعلن "أن هذه المحاضرة التي تبين منعطفا في أفكاره".

ألم يكن لها صدى في كبرى الصحف الأوروبية ولم تنشر إلا في المجلة المسماة "أوت لوك the outlook "الصادرة بنيويورك في ٩ من آب ١٩١٦.

الثقافة ليست معلومات محفوظة ولا تطبيقات منقولة بل هي في مفهومها الصحيح شيء يجاوز المهارة أو البراعة في أية ناحية من نواحي العلوم النظرية أو العملية.

الثقافة مرادفة في نظرنا لحضور القلب ويقظة الروح، وهما لا يكونان إلا مع الضمير الحي والعقل الناضج والقلب السليم.

ومتى استيقظ الوعي والضمير في الإنسان أصبح النظر والعمل عنده متلازمين وأصبحت حياته مصداقا لأفكاره فبعد عن الآلية والأنانية، وقصد إلى الغايات بأفضل الوسائل، واتجه إلى الجوهر والمخبر، دون وقوف عند المظاهر والأعراض.. والأساس المتين الذي تقوم عليه الثقافة الواعية، ثقافة القلب والعقل، والحس، هو الاعتقاد بالقيم الروحية والمبادئ الأخلاقية، فلسنا نتصور أن مثقفا واعيا لا تصدر أفكاره وأعماله عن يقين راسخ بأن الثقافة – كالحضارة – تقوم على الإيمان- أي على الرابطة الأخلاقية التي تدفع الناس إلى أن يفكروا ويعملوا متساندين، مرتفعين على بواعث الأنانية والأثرة متخطين نوازع المصلحة المادية المباشرة لقد استطاعت الكاتبة والأدبية سهيلة الحسيني أن تغوص في أعماق شعر طاغور قراءة ونقدا وتحليلا وتربط كل ذلك بالجانب الإيماني وتكون رؤية تجمع بين العمق والمقارنة.

جياو جوين

رائد الدراما الصينية المعاصرة

بعد أن دخل فن الدراما الحديثة الصين في بداية القرن الحالي عمل كثير من كتاب المسرح الصيني على تكييف هذا الفن الوافد لخشبة المسرح الصيني، ومن بين هــؤلاء الكاتــب والمخرج المسرحي الــشهير جيــاوجو يــن "١٩٠٥ – ١٩٧٥".

اسمه الحقيقي جياوتشين جزهي، ولد في (تيان حين) وعاش حياة فقيرة وبائسة منذ طفولته، وقد ترك المدرسة مرات عديدة لأن عائلتة كانت فقيرة إلى الحد الذي لم تستطع أن تساعده على نفقات دراسته، وحينما كان في المرحلة الابتدائية والمتوسطة من الدراسة اندلعت حركة ٤ مــاو الثقافيــة الجديدة، وبدأت الدراما الغربية في الدخول إلى الصين تحت اسم "الــدراما الجديدة" أو الدراما المختصرة لتمييزها عن الأوبرا الصينية التقليدية، كانت

مدرسة (ناي كاي) آنذاك نشطة جدا في تطوير" الدراما الجديدة" واشترك طلابها بأنفسهم في التجمعات المسرحية، وأعدوا ومثلوا مسرحيات جديدة وكان ذلك من أجل الكفاح ضد اضطهاد الإقطاع والامبريالية وأصبح جياو عاشقا "متحمسا " لهذا الفن بعد أن تأثر بذلك الاتجاه الاجتماعي الجديد، وقد اشترك بالتمثيل في مسرحيات عديدة، واتخذ لنفسه مسرحا أسماه باسمه.

في ١٩٢٤ أنهى عامه الثاني من مرحلة التخرج، وتخرج قبل موعده بعام بسبب ذكائه الملحوظ، ورشح لدخول الجامعة في "بكين" وأثناء الدراسة هناك شغل، وقت فرغه بالكتابة والترجمة، وعمل مدرسا كي يدفع نفقات معيشته وتعليمه، ولإنه أحب الدراما فقد اشترك في الأنشطة التي كان ينظمها دارسو الدراما.

وقد ترجم كثيرا من المسرحيات الأجنبية إلى الصينية – معظمها لموليير وجدولدوني – وبالرغم من أنه لم يقرر أن يجعل الدراما طريق حياته في ذلك الوقت، فإنه بلا وعي انهمك فيها.

بدأ جياو جو ين دراسته الأكاديمية بدراسة الأوبرا الصينية التقليدية في عام ١٩٣٠ عندما كان رئيسا لمدرسة الأوبرا في بكين وكان عمره خمسة وعشرين عاما فقط، ولم يكن قد درس الأوبرا الوطنية دراسة منهجية ولم يكن في نظر المحترفين سوى رجل محب لعمله ومنكب عليه.

بين الأوبرا الصينية والدراما الغربية

بدأ جياو يدرس الأوبرا في "بكين" على أيـــدي متخصـــصين ذوي أساليب مختلفة وقد لاحظ تلك الأساليب أثناء بحثه في أصل وتطور الأوبرا الصينية، وقد هيأ له ذلك فهما عميقا للأوبرا الصينية التقليدية.

عامل مدرسو الأوبرا الصينية الدارسين كمبتدئين وعلموهم شـــفاهة، وقد دعم جياو ذلك ولكنه اشترط على الدارسيين أن يدرسوا اللغة الصينية واللغات الأجنبية: نظرية الفن، الأدب الصيني، تـــاريخ الـــدراما الـــصينية والأجنبية، الموسيقى، الفن التشكيلي، والفنون العسكرية، واســـتطاع أن ينجز كل ذلك بعيدا عن تجمعات الإقطاعيين وأمد المدرسة بالدراسات وقد كان ذلك شيئا غير مألوف في ذلك الحين، وثور بعض أساليب الغناء وقد يبدو ذلك سهلا ومنطقيا اليوم ولكن في العشرينات والثلاثينات كان ذلك الأمر صعبا ومحفوفا بالمخاطر.

في ١٩٣٥ غادر جياو "بكين"إلى فرنسا والتحق بجامعة باريس ليحصل على درجة الدكتوراة في الأدب وقد عمقت دراسته للدراما لغربية رؤيتـــه الفنية، كما أنه اهتم بتصنيف المعلومات التي جمعها ليعمق فهمه للـــدراما الصينية التقليدية.

وحصل على درجته العلمية في عام ١٩٣٨ وكان موضوعها:

"الأوبرا الصينية التقليدية اليوم" وقد نشرت هذه الدراسة ضمن سلسلة المسرح العالمي في الصين وفيها شرح أصل وتطور الأوبرا في بكين وعلاقة ذلك بالنظام التعليمي وفيها شرح أصل وتطور الأوبرا التقليدية في الثلاثينات، كما أنه عرض بالتفصيل لكيفية تطور الدراما الحديثة في الصين، لكن خطته بالبقاء في باريس قد اخفقت بنشوب الحرب في الشرق الأقصى أثناء الحرب العالمية الثانية وأسرع عائدا لوطنه في يناير ١٩٣٨، في ذلك الوقت كانت كل من بكين وشنغهاي قد احتلتا من قبل اليابانيين، واضطر جياو أن يسافر إلى سيشوان عن طريق هونج كونج حيث أصبح في ١٩٣٠ عميدا للدراما في مدرسة الدراما الوطنية في جيان جوان، وأخرج مسرحية هاملت لخريجي المدرسة والتي أعدها لتلائم الظروف الوطنية آنذاك، وقد أحدث العرض الأول ضجة في المناطق المجاورة وأتى الناس لمشاهدة المسرحية من أنحاء نائية عن طريق البحر وكان ذلك تقديرا لتجربته الأولى.

ميلاد كاتب مسرحي

بعد أقل من عام في "جيان جوان" ذهب إلى تشونج كينج لترجمة مذكرات الكاتب المسرحي السوفيتي "دانرينكو". كما أنه ترجم بعض الأعمال الدرامية لتشيكوف ورواية "نانا" لزولا وبعض الأعمال الأدبية لكاتب من المجر، وأثناء ذلك طور مقدرته ككاتب مسرحي باستكشاف

حقيقة وواقع الدراما الأجنبية، وأخيرا سرح قائلا كانت مقدرتي المسرحية لا تزال ساذجة جدا، لكن تشكيوف قد فتح عيني وأوضح لي الطريق إليها.

وبعد عام من هزيمة اليابان في ١٩٤٥ عاد جياو إلى بكين عميدا لقسم الإنجليزي في الجماعة، ومع أن الوظيفة لم تكن تتفق وميوله إلا أن اهتمامه بالدراما لم يتغير فقد دعاه أحد الأصدقاء لإخراج مسرحية "الحانة الليلية"، وهي معدة عن ورواية "الأعماق السفلية" لجوركي فقبل الدعوة بسرور عميق، وقد تم إعداد هذه الرواية للمسرح جيدا فتناولت قطاعا عريضا من حياة السواد الأعظم من الشعب، وعبرت بحيوية عن مشاعر هذه الطبقة وعاصت في أعماق أعماقهم، ومع ذلك فقد خلت من الحبكة المعقدة وكانت تدريبا طيبا على أسلوب ستانيلافسكي، وتميزت المسرحية بالتركيز على المغزى الاجتماعي كهم أساسي ومع ذلك لم يتم التعرف على جياو كمخرج معترف به إلا بعد تأسيس الجمهورية الشعبية، لأن المجتمع الجديد وفر له الظروف المناسبة ليطور مواهبه وامكانياته.

وحينما تم تأسيس مسرح الفن الشعبي في ١٩٥٠ دعي لإخراج مسرحية الكاتب المسرحي لاوشي الجديدة "التنين" وقد نجح أول عرض لها في ١٩٥١ نجاحا عظيما، وفي العام التالي اختير مخرجا ونائبا لرئيس مسرح الفن الشعبي، وقد كانت ترجمته لمذكرات دانرينكو نقطة تحول في حياته، فقد ألهمته ضرورة وجود فن صيني مساو لما في المسرح السوفييتي، والآن عليه أن يحقق طموحاته في ذلك المضمار، وفي العشرين سنة التالية أسس

جياو مدرسة للإخراج تحمل أسلوبه الخاص ووضع نظرية ممنهجة وشـــافية وقد شملت معظم أعماله الناجحة ومنها "التـــنين" و "صـــالة الـــشاي" و"النسر".

تأصيل الدراما الحديثة

ارتأى جياو الحاجة إلى تطويع أفكار ستانسلافسكي لتصوير الحيـــاة الصينية، وقد نجح في ذلك ولا سيما في مسرحيتي الحانة الليلة والتنين أمـــا المبادئ الفنية الرئيسية فإنه أبقى عليها، ولم يكن هناك بون شاســـع بـــين الدراما الغربية وبين الأوبرا الصنية فكلاهما يقترب من الآخر ويؤدي إليـــه فقدم الأوبرا التقليدية من خلال أسلوب الدراما الحديثة وتبلور ذلـــك في إخراجه المسرحية التاريخية "النسر" في عام ١٩٥٦ ولم يكن ذلك بهـــدف تحويلها إلى دراما حديثة ولكن لإثراء المسرحية، وبالرغم مـــن أن هـــذه التجربة لم تحقق الهدف الذي كان يتوقعه لكنه من الناحية الأخرى أصبح أكثر يقينا بأنه من الممكن تأصيل وتصيين الدراما الحديثة، وتلك الـــدراما الحديثة سوف تشكل أسلوبه الخاص به طالما اعتمدت على عناصر مستمدة من شكل وأسلوب الأوبرا التقليدية، ولإنجاز ذلك فإنه لم يجـــرب فقـــط المسرحيات التاريخية بل جرب أيضا المسرحيات ذات الموضوعات المعاصرة، وفي عام ١٩٥٧ قرر مسرح الفن الشعبي إخراج مسرحية "صالة الـــشاي" وهي من تأليف لاوشي وقد تعاون مع نفس المؤلف في المسرحية الناجحة

"النمر"، لأن لاوشي اعتقد بان جياو استوعب مسحريته بعمق وذلك الفهم المتبادل ساعد على تقارب فكريهما.

في مسرحية "النمر" حاول جياو أن يجتذب روح وشـــكل الأوبـــرا التقليدية للدراما الحديثة، ولكنه عندما بدأ في إخراج مـــسرحية "صـــالة الشاي" وضع روح الأوبرا التقليدية داخل إطار التطبيق، وقد تطلب ذلك دقة في الشكل وحيوية تصوير الشخصيات وقد نجح جياو في جعل حركة الشخصيات منطقية وفريدة محدثا بذلك مؤشرات مسرحية رائعة، وبذلك طور في أسلوب معالجته في مسرحية "النمر" وكان ذلك تطـــويرا في أداء الدراما الحديثة وخلق فن مسرحي جديد بأسلوب وطـــني أصـــيل،وبعد سنوات من الاجتهاد والمثابرة و الاكتشاف والممارسة عمل جيـــاو علـــى "تصيين" الدراما الحديثة، وبدأ بذلك عهدا جديدا وأخرج أثناء ذلك العديد من المسرحيات محاولا تصوير الحياة من خلال الفن، فأخذ مـــن الأوبـــرا التقليدية التعبير الفني الجمالي ومن المسرح الغربي بعض تصميماته.

وقد نقح ذلك وطوره فحقق الانسجام والتناغم في الصنعة المـــسرحية والأداء وأظهر أداء شخصياته حتى أن أحد الكتاب المسرحي خاطبه قائلا: "لقد شيدت قصرا للفن"

وفي عام ١٩٥٠ أخرج جياو مسرحية "التنين" كان هدفه وضع شريحة من الحياة على خشبة المسرح، فأصر على إلغاء الاداء التقليدي حتي يقدم صورة أصدق ما تكون في التعبير عن الحياة.

وكان رائده في ذلك وفي تلك الفترة ستانسلافسكي وبعد عام ١٩٥٦ – عندما أخرج مسرحية "للنمر" – تحول اتجاهه الفني في اتجاه تأصيل الأداء، فحطم بذلك الأشكال الطبيعية.

وعندما أخرج مسرحية "صالة الشاي" قال بوضوح: "شريحة من الحياة على المسرح لا تساوي فنا دراميا وما يراه الجمهور ليس أكثر من تمثيل مع اعتراف صريح بأن المسرح مكان للتمثيل وتبلورت مفاهيمه في هذه النظرية: "الدراما فن يخلق بالتعاون والمشاركة بين معجبيه ومنجزيه"

ولقد أحدثت التطورات والإضافات التي حققها جياو في الدراما الحديثة صدى واسعا في الخارج، وعرضت مسرحية "صالة الشاي" في أوروبا واليابان وهونج كونج في أعوام ٨٠، ٨٢، ٨٦.

لقد نجح جياو في تكوين مدرسة للإخراج وقد ساعده في ذلك معرفته الموسوعية وظل مستمرا في تجويد فنه ولم يلتصق أبدا بالأفكار والأساليب القديمة.

وعند كل مسرحية يخرجها كان يكتسب أفكارا وإبداعات جديـــدة، وعندما كان يحاول تأصيل الدراما الأجنبية كان يكافح دوما في أن يخلـــق إبداعا صينيا أصيلا وهذا هو سبب نجاحه في تكوين مدرسة خاصة بـــه في الإخراج ذات أسلوب متميز.

جورج أورويل : بين الأدب والسياسة

الرأي بأن الفن يجب ألا يكون له علاقة بالسياسة هو في حد ذاته اتجاه سياسي، فإذا علمنا أن الدافع السياسي عند أورويل كان من أقوى دوافع الكتابة لديه، تبين لنا إلى أي حد مزج هذا الكاتب الإنجليزي بين الحس السياسي والمعالجة الجمالية وقد نجح في ذلك إيما نجاح، خاصة في رواياته "مزرعة الحيوان" و"١٩٨٤".

وقد كان أورويل روائيا وناقدا وصحفيا وكاتب مقال متميز كل ذلك في روح تهكمية ساخرة وبأسلوب سلس دقيق محدد، فالمعنى هو الذي يحدد الكلمات التي يختارها الكاتب والتفكير الواضح سيؤدي إلى الكتابة الواضحة، وقد ساعده ذلك الأسلوب أن يجعل من الكتابة السياسية فنا من الفنون.

لماذا أكتب؟

أوضح أورويل بداية قصته مع الكتابة فقال:

"منذ عمر مبكر جدا أيقنت بأنني سأكون كاتبـــا.. وقـــد كانـــت طموحاتي الأدبية مرتبطة بشعور العزلة الذي كان يسيطر علي، وامتلكت القدرة على التعبير بالكلمات، والطاقة على مواجهة الأحداث غير السارة، فخلقت بذلك عالما خاصا بي أهرع إليه عندما تؤلمني مـــصاعب الحيـــاة، وكتبت قصيديتي الأولى وأنا في عمر الرابعة أو الخامسة، و لم أعد أتـــذكر شيئا عنها سوى أنها كانت عن نمر.

كنت في الحادية عشرة من عمري عندما اندلعت الحـــرب العالميـــة الأولى"١٩١٤ – ١٩١٨" فكتبت قصيدة وطنيـــة نـــشرت في الجريـــدة المحلية... وحاولت مرتين كتابة قصة قصيرة وكان فشلا مروعا.

كانت تلك محاولاتي الأدبية وأنا صغير وبعـــدها أردت أن أكتـــب روايات طبيعية ذات نهايات غير سعيدة مليئة بالوصف والتفاصيل، والحقيقة أن روايتي الأولى"أيام بروما" والتي كتبتها وأنا في الثلاثين من عمري كانت أقرب إلى هذا النوع من الكتابة، وأعتقد أن الكاتب إذا حاول الهروب من تأثراته المبكرة كلها، فقد يقتل البواعث الأساسية لدية الـــتي تدفعـــه إلى الكتابة.

صراع مرير

ولد جورج أورويل اسمه الحقيقي اريك بلير أما أورويل فهـــو اســـم اشتهر به، وهو مشتق من نهر أورويل الجميل في شـــرق أنجلتـــرا البنغـــال

١٩٠٣ وقد كان والده موظفا بسيطا في جهاز الخدمة المدنية بالهند، الذي كان تابعا للإمبراطورية الإنجليزية آنذاك أما أمه فهي من أصل فرنسي وابنة لتاجر أخشاب في بورما.

عقب عودته مع والديه إلى انجلترا، أرسل عـــام ١٩١١ إلى مدرســـة إعدادية خاصة وقد تعذب أورويل في هذه المدرسة لأن وجوده مع التلاميذ الأغنياء أكد لديه الإحساس بالفقر، فمال إلى العزلة والانطواء.

بعد أن اجتاز أورويل هذه المرحلة الدراسية بنجاح. اختار "ايتـــون" ليستكمل تعليمه، وبقي فيها من ١٩١٧ حتى ١٩٢١، وكـــان "الـــدوس هكسلي" الكاتب المعروف أحد أساتذته، كانت أولى إسهاماته الأدبية في "ايتون" من خلال دوريات الكلية، ولم يقبل أورويل على التعليم الجامعي، ولكنه قرر أن يذهب إلى بورما عام ١٩٢٢ ليعمـــل هنـــاك في البـــوليس الإمبراطوري، وقد أردك أورويل كم المعاناة لدى البورميين من جراء الحكم الإنجليزي، وبدأ في مهاجمة الإمبراطورية البريطانية وزعزعة أركـــان هـــذه المؤسسة الاستعمارية وقد ذكر هذه التجارب والخبرات في رواياتـــه الأولى "أيام بورما".

في ١٩٢٧ قرر أورويل ألا يعود إلى بورما، وأخذ الخطوة الحاسمـــة في حياته، فقدم استقالته، وبدأ في إعداد نفسه للكتابة وقرر أن يغوص بنفسه في حياة الفقراء والبؤساء فسافر إلى باريس، حيث كان يعـــيش الأدبـــاء

والفنانون عيشة بوهيمية ليكتسبوا الخبرات التي تساعدهم كأدباء وفنانين، عاش في البيوت الرخيصة بين العمال والشحاذين، وعمل في غسيل الأطباق في فنادق فرنسا ومطاعمها وقد أهدت هذه الخبرات لأورويل مادة كتابه "مستعطل في باريس ولندن".

بعد ذلك عاد إلى إنجلترا وخالط المشردين والصعاليك حتى اشتغل معلما خاصا، واستقر به المقام أخيرا في مكتبه لبيع الكتب، وفي ١٩٣٧ ذهب إلى أسبانيا موفدا من قبل أحد دور النشر كمراسل صحفي ليكتب عن الحرب الأهلية فيها، ولكنه اشتراك في الحرب ضد "فرانكو" وجرح جرحا خطيرا، وقد سجل كل هذه الأحداث في كتابه "الولاء لكتالونيا".

في أثناء الحرب العالمية الثانية كان عضوا في الحرس الوطني وعمل فترة لحساب هيئة الإذاعة البريطانية في القسم الهندي، لكنه لم يشترك في الحرب لعدم لياقته البدنية، وقد أثر ذلك في نفسه تأثيرا كبيرا، وفي سنة ١٩٤٣ انضم إلى هيئة تحرير مجلة "تربيون" ليسهم في تحرير الصفحة السياسة والأدبية وأخيرا أصبح محررا دائما في "الأوبرزرفر" وفي سنة ١٩٤٥ نشر رواته "مزرعة الحيوان" وقد بيع منها أكثر من مليون نسخة وترجمت إلى أربع عشرة لغة أجنبية في ذلك الوقت "ترجمت حتى الآن إلى ٣٩ لغة".

ولقد جلبت له هذه الرواية الثراء والشهر ، ورغم أن "السل" قد بدأ يدمر جسمه إلا أنه أكمل روايته الأخيرة "١٩٨٤"وتوفيت زوجته الأولى

في ١٩٤٥ وقبيل موته بوقت قصير تزوج من "سونيا أورويـــل" في ينـــاير ١٩٥٠، وفي السادسة والأربعين من عمره مات أورويل وهـــو في قمـــة ازدهاره الأدبي.

لم يكن بوقا

كان أورويل يجد صعوبة بالغة في نشر مؤلفاته ذلك لأنه لم يكن كاتبا تقليديا ، بل أن صراعاته مع الأفكار البالية والعادات الراسخة لعبت دورا مؤثرا حتى بعد وفاته، ولأن مؤلفاته تنفذ اليمين واليسار معا فقد تباينـــت الآراء في تصنيف ذلك الكاتب الفريد والحقيقة أنه لم يكن بوقا لأي اتجاه، و لم يكتب إلا ما يشعر به ويحسه ويعتقده.

كان يبحث دائما عن عالم لا تمزقه أنياب الجوع ولا يسحق كرامتـــه طغيان الديكتاتورية، فصار بذلك متسقا مع نفسه متوحدا مع الآمه وأماله مهما تباينت الآراء فيه واختلفت وجهات النظر في تـــصنيفه، وفي بدايـــة رحلته مع الكتابة خالط البؤساء والمشردين وعايش الطبقة العاملة، ومـــن يحيون حياة الكفاف فعرف الجوع وأحس بضراوته فأخذ يصارعه ويصارع من يقفون وراءه ويصنعونه ويباركونه، ويتبلور ذلك الصراع من خـــلال كتابه "مستعطل في لندن وباريس" وروايته" الطريق إلى ويجان بير" ثم انضم إلى حزب العمال واعتنق الاشتراكية، ودافع عنها في مقالاته "الاسد ووحيد

القرن"، "الشعب الإنجليزي" وغيرهما كما طالب بتـــصفية الإمبراطوريـــة البريطانية.

عاد أورويل من أسبانيا بعد أن شارك في أحداث الحـــرب الأهليـــة الدامية ورأى بعينه مآسي الديكتاتورية وشعر بضرواتها التي تفوق ضـــراوة الفقر، عندئذ كرس نفسه لمحاربة الطغيان فكتب "الولاء لكتالونيا" يتضمن هذا الكتاب نقدا شديدا للحكومة التي حارب في صفها وأعلن فقد ثقته في روسيا وستسالين وقد بلور "أوريل" اتجاهه السياسي حين قال في مقال له بعنوان "لماذا أكتب؟" قضيت خمس سنوات في عمل لا يناســـبني "يقـــصد عمله في البوليس الإمبراطوري في الهند" وعانيت من الفقـــر والإحـــساس بالفشل، وقد زاد ذلك من بغضي الطبيعي للسلطة وأعطـــتني وظـــيفتي في بورما فهما ما لطبيعة الإمبريالية، لكن هذه الخبرات لم تكن كافية لتحديد اتجاهي السياسي، ثم جاء هتلر والحرب الأهليه الأسبانيه، هـــذه الحـــرب والحوادث التي تلتها حددت اتجاهي السياسي وعرفت أين أقف، فكل سطر من أعمالي منذ ١٩٦٣ كتبته من أجل ذلك.

وهكذا فقد وصف أوريل نفسه بأنه اشتراكي ديمقراطي فهـــو مـــع العداله والحرية ضد الظلم الاجتماعي والديكتاتورية، والحقيقة أن حياتـــه كلها كانت صراعا ضد الجوع والديكتاتورية، لكن صراعه مع الأخـــيرة استأثر بمعظم أعماله وكتاباته في أخريات حياته.

لقد دافع عن حرية الفرد وحرية الأديب وحرية الجماهير والشعوب الضعيفة. إذ كان أخشى ما يخشاه أن يستبد إنسان بإنسان أوجماعة بجماعة، أو دولة بدولة.

بين "مزرعة الحيوان" و ...(١٩٨٤)

في "مزرعةالحيوان"،١٩٨٤استطاع أورويل أن يؤلف أفكارا في ثوب روائي، تعتبر هاتان الروايتان بلورة لمعظم أفكاره وكتاباته السابقة والتي حوها أغلب مقالاته.

عندما عاد من أسبانيا في ١٩٣٧ بدأ لأول مرة يفكر في كتابه "مزرعة الحيوان" وبالتحديد عندما اكتشف كيف أن دعاوي الاستبداد تستطيع أن تتحكم في الشعوب وأن هناك فئات بعينها لا يرضيها إلا ممارسة السلطة وإذلال الآخرين، ولذا فإن الطغيان قد سيطر وساد ورغم أن "مزرعة الحيوان" رواية خرافية إلا أنها محملة بالأبعاد السياسية والاجتماعية العميقة، ولذا لم يجد ناشرا لها إلا بعد عناء، فالرواية تنتقد الحكم في روسيا (في الوقت الذي كانت فيه روسيا وبريطانيا في خندق واحد ضد النازية).

وفيها مزج أورويل بين الحس السياسي والمعالجة الجمالية وقد نجح في ذلك، فهو يرى الدافع الجمالي من أهم دوافع الكتابة لديه ولابد للكاتب أن يدرك الجمال ويحس أنه ذو قيمة.

أما "١٩٨٤" فهي أكثر هجاء ونقدا من "مزرعة الحيوان" ففي تلــك السنة التي تجري فيها أحداث الرواية كان العالم مقسما إلى ثــلاث قــوى عظمى، وكل واحدة في حرب دائمة مع الأخرى وتمارس الــسلطات في إحدى هذه القوى سياسة الفزع الفكري حيث يصبح الــتفكير جريمــة والحب جريمة، ويتم التجسس على كل نشاط إنساني، ففي كل غرفة شاشة تلفزيونية ولا يمكن إطفاؤها، وبهذه الوسيلة تستطيع السلطات أن تراقــب كل كلمة بل وكل إيماءة.

ثم يجيئ "ونستون سميث" وهو الرجل الوحيد الذي يثور ضد حكــم الطغيان والديكتاتورية. ممثلا بذلك الفرد المثقف، إلا أنه قد خضع وأذعن بعد الإذلال والتعزيب حتى أنه بكى بكاء مريرا عندما رأى نفسه في المرأة، لأنه لم يتعرف عليها من أثر التعذيب، وهكذا نرى ونحس ونتألم لــضحايا الإرهاب الفكري من أمثال ونستون وغيره.

أورويل ومقالاته

كاتب مقال فذ بل إن البعض يرى أن مقالاته أقوى من رواياته، وقد عبر فيها عن نفسه أكثر مما عبر في رواياته، فكانت بذلك إطــار لتحليــل معظم أعماله، وحملت أيضا روحه التهكمية الساخرة ويقال إن أورويل تأثر كثيرا بالكاتب اللازع سويفت لكن أورويل يفوق "ســويفت" في دهــاء سخريته وذكاء تهكمه، ومن أهم مقالاته ،(الأسد ووحيد القرن)،(الشعب

الإنجليزي)، (اطلاق النارعلى أسد)، (هكذا..هكذا.. كانت المسرات)، (لماذا اكتب؟) وقد جمعت هذه المقالات بين الأسلوب السلس والمغزى السياسي العميق.

كما أنه تأثر بالكاتب الإنجليزي "ديكتز" لكنه يرى أن ديكتز كتب ببراعة عن الطبقة المتوسطة و لم يكن ناجحا عندما كتب عن الطبقات العاملة وإن كان أورويل روائيا عظيما، فقد كتب لاسمه البقاء ككاتب مقال فذ.

أعماله وتاريخ أول إصدار لها

مستعطل في باريس ولندن١٩٣٣.

أيام بورما ١٩٣٤.

ابنة الكاهن ١٩٣٥.

حافظ على نبات الأسبديسترا ١٩٣٦.

الطريق إلى ويجان بير ١٩٧٣.

الولاء لكتالونيا ١٩٣٨.

الصعود طلبا للهواء ١٩٣٩.

في جوف الحوت ومقالات أخرى ١٩٤٠.

الأسد ووحيد القرن ١٩٤١.

رواية مزرعة الحيوان ١٩٤٥.

مقالات نقدية ١٩٤٦.

الشعب الإنجليزي ١٩٤٧.

رواية ١٩٨٤ — ١٩٤٩.

اطلاق النار على أسد ١٩٥٠.

هكذا.. هكذا.. كانت المسرات ١٩٥٣.

وهناك مجموعة متنوعة من المقالات النقدية والصحفية ورسائله إلى كتـــاب وأدباء عصره قامت زوجته(سونيا أورويل) باختيارها وتنسيقها وإصدارها في عام ١٩٢٨.

باولو كويلو وأباطرة العالم

من أهم سمات الروائي البرازيلي باولو كويلو كتابة تلــك اللحظات الصغيرة التي تمر في حياتنا ولا نعيرها أي اهتمام، كاتب سطع نجمه في عالم الأدب، نشرت مؤلفاته في أكثــر من مائة وخمسين دولة، وترجمت إلى أكثر من خمسين لغة.

وبيع منها أكثر من ثلاثين مليون نسخة، تحمل كتاباته روح الفلسفة وتغوص بعمق داخل النفس الإنسانية، رواية "الرابح يبقى وحيدا" للكاتب الشهير باولو كويلو تعد آخر إبداعاته، انتهى من كتابتها في عام ٢٠٠٨، نشرت لأول مرة باللغة الإنجليزية ٢٠٠٩، وتحكي الرواية عن أحداث ٢٤ ساعة خلف كواليس مهرجان كان السينمائي الدولي في إطار الاحتفالات بالمهرجان.

وفي موسم المهرجان يجتمع أباطرة العالم ويرى كويلــو في هــؤلاء المجتمعين العالم بأسره.

إنهم أصحاب رأس المال، ومليارديرية العالم الذين يمثلـــون الـــسلطة، والمال، والشهرة. وهم سادة العالم الذين لا يتجاوز عددهم الستة الآف.. هم أصحاب نزوات خاصة كما أنهم يصنعون الحروب وصفقات السلاح، ويثيرون الحروب العرقية والقبلية، ويمدون أطـــراف الـــصراع بالـــسلاح ويحرمونهم من ذلك بقرارت الشرعية متى أرداوا، فيما تستمر مـــصالحهم بالاستحواذ على الألماس وسائر المعادن النادرة في ظل الحروب الأهلية.
وتتمحور الأحداث حول إيجور، رجل الأعمال الروسي غريب الأطـــوار الذي شارك في حرب الاتحاد السوفيتي في أفغانستان مما سبب له مـــشاكل نفسية معقدة. إيجور. هجرته زوجته رغم حبها الشديد له بعد أن تأكدت من شخصيته المرتبكة لتتزوج من رجل أعمال شهير من أصل عربي يعمـــل في مجال الموضة والأزياء.

يذهب ايجور إلى كان حيث توجد مطلقته مع زوجها هناك ليحـــاول أن يثبت لها مدى حبه لها ولكن بطريقته الخاصة، ولا تتوقف حدود نفوذ هؤلاء الأباطرة عند حد معين بل إن نفوذهم يتعدى ذلـــك إلى صـــناعة الساسة والسياسات العالمية.. إن العالم رهن إرادتهم.. يمعنون في تلويـــث البيئة، ويغرقون الأطفال في حروب تحرمهم من طفولتهم وتجعل منهم قتلة.. وهم يمتلكون كل وسائل وأدوات صناعة العقل وتشكيله، وتوليد الثقافـــة والموضة والفكر الذي يشكل في مجموعه منظومة أيديولوجية وغطاء حقوقيا

لعالمهم الذي يصنعون: وهو العالم الذي بـــات مـــصيره – بأســـره – في أيديهم.

في رواية "الرابح يبقى وحيدا" نرى ثلاثية السلطة والمـــال والـــشهرة ومدى سطوتها على النفوس، وفيها يعرض باولو كويلو عالما نعـــيش فيـــه أويعيش فيه الآخرون، و لم نتنبه يوما إلى أنه بكل هذه الغرابة وهذه الخفايا.

باولو كويلو

ولد في ريودي جانيرو عام ١٩٤ ، قبل أن يتفرغ للكتابة، كان يمارس الإخراج المسرحي، والتمثيل، وعمل كمؤلف غنائي، وصحفي.

وقد كتب كلمات الأغاني للعديد من المغنين البرازيليين أمثال إلـــيس ريجينا، ريتا لي راؤول سيبكساس، فيما يزيد عن الستين أغنية.

ولعه بالعوالم الروحانية بدأ منذ شبابه كهيبي، حينما جال العالم بحثـــا عن المجتمعات السرية، وديانات الشرق، نشر أول كتبه عام ١٩٨٢ بعنوان "أرشيف الجحيم"، والذي لم يحقق أي نجاح.

في العام التالي نشر كتاب "الخيميائي" وكاد الناشر أن يتخلى عنها في البداية، ولكنها سرعان ما أصبحت من أهم الروايات البرازيلية وأكثرهـــا مبيعا، وحاز على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة، ونال على العديد من الأوسمة والتقديرات.

وقد باع كويلو أكثر من ٧٥ مليون كتاب حتى الآن، وقد اعتبر أعلى الكتاب مبيعا بروايته ١١ دقيقة، حتى قبل أن تطرح في الولايات المتحدة أو اليابان، و١٠ بلدان أخرى. واحتلت عام ٢٠٠٥ المركز الثالث في توزيع الكتب عالميا وذلك بعد كتابي دان براون شفيرة دا فينشي وملائكة وشياطين وتعد الخيميائي ظاهرة في عالم الكتابة، فقد وصلت إلى أعلى المبيعات في ١٨ دولة وترجمت إلى ٦٢ لغة وباعت ٣٠ مليون نسخة في ١٥٠ دولة.

ومن أقوال باولو كويلو :

– لن يصل أحدا بعيدا إذا نسى من وقفوا معه في ساعة حاجته، عليك وأنت تقوم بالأمر ذاته المرة تلو المرة، أن تكتشف شيئا جديدا رائعا مر بدون ملاحظته في المرة السابقة.

– إذا أحببت شخصا فعليك أن تكون مستعدا لتركه حرا.

– عندما يقع المرء في الحب يتخيل وجود الحب في كل مكان.

– الشخص يجب أن يبقى دوما نفسه حتى لو تغيرت الدوافع مع الوقت.

المؤلف الكتاب

- اسم الشهرة: ربيع مفتاح.
- الاسم كاملا: ربيع مفتاح محمود حسين.
- مكان الميلاد: مصر – الفيوم.
- تاريخ الميلاد: ٢٦ سبتمبر ١٩٥٤
- الهوية الأدبية: ناقد ومترجم.
- عضو لجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة.
- مسئول عن ندوة إبداعات بلجنة القصة بالمجلس الأعلى للثقافة لدورتين متتاليتين.
- عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر ورئيس شعبة الترجمة.
- عضو مجلس إدارة نادي القلم الدولي "مصر".
- عضو مجلس إدارة نادي القصة . وأمين صندوق النادي.
- رشحه نادي القصة لجائزة الدولة في التفوق في فرع الأداب ٢٠١٣/٢٠١٤.
- عضو أتيلته القاهرة "جميعة الكتاب والفنانين".
- عضو الأمانة العامة لأدباء مصر لمدة ٤ دورات.
- عضو مجلس تحرير مجلة القصة.

- عضو جميعة أنصار التمثيل والسينما.
- عضو بنقابات التجاريين والمعلمين والمترجمين.
- مراسل مجلة الصين اليوم في مصر "سابقا ".
- كاتب معتمد بالإذاعة والتليفزيون.
- نائب رئيس مجلس إدارة جمعية قراءة للنقد والترجمة.
- رئيس تحرير جريدة المترجم المصري التي تصدر عن اتحاد كتاب مصر.
- أشرف على تحرير مجلة الكرمة.
- نائب رئيس مجلس إدارة مجلة الصالون التي تصدر عن صالون غازي الثقافي العربي "سابقا".
- عضو لجان القراء والتحكيم في هيئة قصور الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة واتحاد الكتاب ونادي القصة ووزارة التعليم العالي.
- أمين عام المؤتمر الأول لأدباء الجيزة عام ١٩٩٨.
- أمين عام مؤتمر تكريم صبري موسى "السرد وعبقرية المكان" الذي عقد باتحاد كتاب مصر في ديسمبر ٢٠١٣.
- رئيس وفد اتحاد كتاب مصر الذي مثل مصر في اتحاد الكتاب العرب الذي عقد في ابو ظبي – الإمارات العربية ٢٠١٣.

• شارك في معظم مؤتمرات الهيئة العامة لقصور الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة واتحاد الكتاب ونادي القصة كما قدم كثيرا من الدراسات في مؤتمرات الرواية والترجمة.

• قدم بحثا في مؤتمر إقليم القاهرة وشمال الصعيد الثقافي المنعقد في الفيوم ديسمبر ٢٠١٣ بعنوان "الثقافة المصرية رؤية مستقبلية "

• كما قدم ورقة عمل في الاجتماع التمهيدي لمؤتمر المثقفين بعنوان نحو استراتيجية جديدة للتلقي.

• قام بكتابة برنامج "الأسرة والفن" لقناة الأسرة والطفل.

• نشرت مقالاته النقدية وترجماته في معظم المجلات المصرية والعربية منها: مجلة إبداع. القاهرة. الهلال. الثقافة الجديدة. المسرح مسرحنا. الرافد الإماراتية. البيان الكويتية. الفيصل. الحرس الوطني. الكويت. آفاق عربية وغيرها.

الجوائز والتكريم :

• شهادة تقدير – منتدى المثقف العربي ٢٠٠١.

• درع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢.

• درع محافظة الجيزة ٢٠٠٢.

• درع وزارة الثقافة في النقد والترجمة– من المكرمين في مؤتمر أدباء مصر عام ٢٠٠٤.

- شهادة تقدير من الأمانة العامة لأدباء مصر لدوره المتميـــز في معظـــم المؤتمرات ٢٠٠٦.
- شادة تقدير من الجمعية الدولية للمترجمين واللغوين العرب ٢٠٠٧.
- شهادة تقدير من الجمعية المصرية للمترجمين واللغوين ٢٠٠٨.
- درع التفوق من صالون غازي الثقافي العربي ٢٠٠٨.
- جائزة اتحاد كتاب مصر في النقد الأدبي ٢٠١٠.
- جائزة مؤتمر يوسف إدريـــس المنعقـــد في قريـــة الـــبيروم بالـــشرقية ٢٠١٣.وذلك للمشاركة والبحث المقدم من هيئة قصور الثقافة.
- للتواصل مع الكاتب:

rabimof@hotmail.com

الفهرس